القول المتين



خدمة أسير الذنوب أحوج الخلق إلى عفو ربه
قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر
الشماخي العامري

مكتبة الضامري
سلطنة عمان

القول المتين القول المتين

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

ص.ب ٢٠٠٢٩ - السيب

سلطنة عمان

القول المتين

خدمة أسير الذنوب أحوج الخلق إلى عفو ربه
قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر
الشماخي العامري

مكتبة الضامري
سلطنة عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أحمده حمداً يليق بجلاله ، لأنه الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، وتهيمنت قدرته على كل شيء ، فهو الكريم بآلائه يمن بالتوفيق على من يشاء من عباده ، ويعطي الجزيل من الإمداد والعون لأهل وداده ، العظيم بكبريائه ، الذي تنتهي إليه أقصى مراتب الكمالات والعظمة ، فهو الكريم الحليم الرحمن الرحيم الذي بيده الإحسان ومنه الغفران . والصلاة والسلام على علم الهدى وبدر الدجى الصادق الأمين رسول رب العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أسعد الله به الوقت وأزال به الفتن وأرشد به الضال ، وأفشى به الكمال وأوضح به المنهج وهدى به إلى طريقه المستقيم ﷺ وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وعلى من صلح من أهل عترته وعدول صحابته ومن نهج منهجهم من التابعين وعباد الله الصالحين وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين .

(أما بعد) فيقول العبد الذليل بذنوبه الحقير بعيوبه قاسم بن سعيد ابن قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر الشماخي العامري إني قد أرسلت إلي مجلة الإسلام عن طريق صاحبها ومحررها وهو رجل يدعى الشيخ أحمد علي الشاذلي الأزهري وهذه المجلة لم يكن للإسلام والمسلمين حظ من مسماها لما

اشتملت عليه من اللغط واللغو وسوء التركيب وركاكة المعنى والاعتراف من صاحبها في سياق توجيهاته التي لا تخفى على العاقل النقاد أنه مفطور على الشر وحب الانتقام والافتخار بالإساءة والحقد والحسد . وقد استبد هذا الرجل في مجلته تلك . الصادرة في عددها الثالث والرابع معاً من سنتها الثامنة في ربيع الأول والثاني سنة ١٣٢٣ هـ فاستهل فاتحتها بموضوع تحت عنوان الرد على المغرور . والمغرور إنما هو رجل من أهل القبلة حركته بواعث الفطنة واستلفته النظر الصحيح والبحث الفكري المشمول بلطائف التوفيق إلى موضوع افتراق الأمة وذهابها إلى مذاهب متباينة وآراء متضادة في الدين فأشفق من ذلك وأبصر أن الهم والغم والكرب الذي أصاب المسلمين إنما كان من جراء تلك التفرقة وهو السبب الجوهري ورغب هذا المسترشد البصير في إيجاد الوسائل التي يتعالج بها هذا الداء العقيم فينقشع سحاب الاختلاف وترجع الناس إلى أصلهم الذي بنى عليه أوائلهم . فما كان غير أن مقته صاحب المجلة المذكورة وعاب عليه هذا النظر وعزا إليه وجوها لاتقول بها الحكمة ولا الدين وإنما هو كلام وأقاويل انتحلها صاحب المجلة وأمثاله خرقوا بها الصواب واعتقدوها ديناً قيماً حنيفاً لاعوج فيه وقطعوا عذر من خالفهم فيها وأخافوا سبيل الناقضين عليهم بوعيد سلطة الجهل على أنه هو ومن شايعه على هذا المقال وقد وسعوا الفتوق على الإسلام والمسلمين ولم يجبروا لهم كسراً ولم يرفعوا لهم موضعاً بل الواقع بهذا التوجيه إنما كان على ما يكره الله تعالى والملائكة وأهل البصائر الذين تحرّوا الرشد وتناهبوا اللب وعافوا القشور وأرضوا بسيرتهم الحميدة ربهم الغيور فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

لاجرم ظل الناس الذين يدّعون الحجا وسلامة العارضة وصحة

النظر ثابتين على عقائدهم التي أخذوها عن أئمتهم تقليداً وتلقيناً واجتهاداً بطبائع لازمة وغرائز ثابتة رجعوا بها إلى مصادمة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وآثار صالح السلف صراحاً وعناداً وأصروا واستكبروا استكباراً :

وأشنع من ذلك قبول أهل البصائر لهذا الخلط في كل زمان وأوان مهما تبلج الحق واستنارت الجادة إلى الصراط المستقيم بنور البراهين وصريح الدليل . بل رضوا بأن تكون أقوال مشايخهم مقدسة على كلام التنزيل والأخبار الصحيحة ورأي المسلمين وإجماع الصالحين . على أنهم غير معصومين من الخطأ والزلل وغلب على مقلديهم حسن الظن بهم حتى تركوا البحث فيما جاءهم عنهم وزين لهم الشيطان أقاويلهم عند مدارسة دواوينهم عادة الله تعالى في الذين خلوا من قبلهم تقليد الآباء والأمهات :

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (1)

فطارت مميزاتهم بذلك هوآء واستحالت عقائدهم هباء وأساء الفريقان المقلَّد والمقلِّد الاختيار وارتدفوا الأدبار وضلوا عن طريق الصالحين الأبرار واختل علمهم وعزب حجاهم وسقمت العارضة وخاب رجاء الحق فيهم كما خاب رجاؤهم في السلامة بعد قول الله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

(1) سورة الزخرف آية ٢٣

﴿ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴾ (٢)

ومن لنا بمن يستقرئ عبارات الخلاف والخطأ والانحراف الذي وضعه مشايخ الفرق . بفكرة سليمة ويتدبرها بفطنة قويمة فيجعل لنفسه منها إماماً يهديه إلى الأصلح وزماماً يثنيه عن الأقبح . بعد قول الرسول ﷺ : « وكلهم يدعي تلك الواحدة » اللهم إلا الموفق الذي يرى الحق فيتبعه وقليل ما هم . قال الله تعالى :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾ (١)

ولنا على هذا الموضوع كلام يأتي بعد في محله إن شاء الله تعالى .

وتضمنت المجلة أيضاً موضوعاً ثانياً تحت عنوان « العقائد والمسلمون » في الهند نقله صاحب المجلة عن جريدة اللواء تعريضاً وانتقاماً .

اشتمل هذا الموضوع السقيم على انتقاد واعتراض أحد الهنود على مجلة (المنار الغراء) وقال « إنها تدعو الناس إلى نبذ المذاهب الأربعة التي عليها مدار الشريعة الغراء والرجوع في جميع الأحكام إلى الكتاب والسنة » ولعمري إنه قد أقام الحجة بحذافيرها على نفسه إذا عرف من نفسه أو وجد من يعرفه أن قطب الشريعة إنما يدور محوره على الكتاب والسنة لا على المذاهب الأربعة . لأن الله تعالى سماها شريعة وشرعة ومنهاجاً وصراطاً وطريقة ولم يقل شرائع ولا فرق ولا مذاهب . فلينظر المستبصر في هذا التناقض الذي اشتمل عليه الموضوع ولم يفطن له الكاتب البارع صاحب

---

(٢) سورة النساء آية ٢٦ ــ ٢٧ .

(١) سورة هود آية ١١٨ ــ ١١٩ .

مجلة الإسلام الذي أخذ العهدة على نفسه أنّه يدل على عورات المسلمين ويطعن في دين المسلمين ويزكي نفسه بأنه أحرز الناس لدين المسلمين .

ثم استطرد الهندي صاحب المقالة إلى ما فوق حدوده من الجهل والعمى قائلاً بأنها هي الدعوة بعينها التي ضلت بها الخوارج وكفروا بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : ثم أدخل صاحب المجلة الممقوتة في مقال الهندي هذه الجملة من عندنا تعريضاً بي وبأخي في الله تعالى السيد مصطفى بن إسماعيل لكوننا إباضيين قائلاً : « ومنهم الإباضيون المعروفون الآن » وأنساب في الطعن والتوعد بالشر لعصابة الإباضية بما أحصاه الله تعالى عليه . وأخذ يعلق على هذه المقالة من بضاعة علمه الكاسدة ما تكلف وتخير وانتقى من براهين الحقد وغل الصدور وركض في هذا المجال فوق طاقته وأطلق العنان لمطية خبثه وشره ليحكم الإساءة .ويربي الضغائن ويثير أحقاد الصدور حتى أخذه الربو وخارت قواه ولم يدر أن العقل حجة الله تعالى على خلقه بين عدل الآخرة وأن المقام أوهام والأيام أضغاث أحلام . ولنا أيضاً كلام على هذا الموضوع يأتي إن شاء الله تعالى .

ثم طرق الشيخ موضوعاً ثالثاً في نفس المجلة المسخوطة تحت عنوان « الإسلام في الأزهر » وهو الموضوع الذي انفرد له صاحب المجلة وخلا له الجو في تنسيقه وتنميقه واستقل بإنشائه وتحبيره وتناهب تركيبه وتنقيحه وناهيك بالتماوج والتوارب والتغلغل تغلغل الأرقم الثائر الذي يريد أن يفرغ سمه في فريسته فكتب عن الشيخ محمد عبده وقال : وقال وكتب : حتى قذفه في لجة الزلات والآفات وحسبه الله ونعم الوكيل : ولنا على ذلك كلام يأتي إن قدر الله لنا السلام بمنه وكرمه .

آفةُ الدين في نصيب ظروف الزمان

ذكرنا في سياق المقدمة أن الله تعالى يريد أن يهدينا فاستلفتنا لشرائط الهداية في قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

ثم أعذر إلينا رحمةً منه وفضلاً لنأخذ الحيطة ونحترز من متابعة الهوى ومواقف الفتن بعلم ما علمنا فقال عز وجل :

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٢)

وقد جاءت آفة الدين في نصيب ظروف الزمان وتولى بيان ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أمتي على خمس طبقات . الأولى أهل علم وهدى والثانية أهل بر وتقوى والثالثة أهل تواصل وتراحم والرابعة أهل تدابر وتنافر والخامسة أهل هرج ومرج » ومراد رسول الله ﷺ في الأزمان فذكر الطبقة الأولى أهل عصره كما قال : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين

---

(١) سورة النساء آية ٢٦ .

(٢) سورة الأنفال آية ٢٥ .

يلونهم ثم يأتي قوم يحبون السمن تسبق يمين أحدهم شهادته وهم أهل تدابر وتنافر » . فلم يكترث بأهل الهرج والمرج لما في فتنتهم من صريح الإجمال ما يغني عن التفصيل :

وإنما صار القرن الأول أهل علم وهدى لأنهم اقتبسوا العلم عن النبي ﷺ وقبلوه يقيناً علماً وهدى فكانت علومهم وبصائرهم أقوى من أعمالهم فمن استقى من عصر النبوة وكان سعيداً حصل له الهدى والعلم بتوفيق الله تعالى وتسديده .

وأما أهل « الطبقة الثانية » فإنما صاروا أهل بر وتقوى لأنهم نشأوا في الإسلام من حال الصغر فألفوا فعل البر وتكيفوا بلطف التوفيق وحسن النظر إلى مخاوف الأهوال التي في الآخرة فغلبت عليهم التقوى .

وأما أهل « الطبقة الثالثة » أهل تواصل وتراحم : لأنهم دخلوا تحت قهر الظلمة والملوك الجورة فحالوا بينهم وبين ما أفاء الله عليهم من الفيئ وخراج الأرض والغنائم والعطايا واستأثروا بها دون مستحقيها فأعقبهم التراحم والتواصل والتعاون بينهم البين بما قدر به بعضهم لبعض .

وأما « الطبقة الرابعة » فأهل تدابر وتنافر . وذلك لأنهم استولت عليهم الأئمة الضالة المضلة فلقنوهم منتحلاتهم وأحداثهم التي أحدثوها وآراءهم التي استخرجوها وجعلوها مذاهب وروجوا تلك البضائع الكاسدة بين أهل طبقاتهم وجعلوهم يتخذونها ديناً وقطعوا عذر من خالفهم فيها فوقعت الوحشة بينهم والعداوة والبغضاء فتنافروا وتدابروا وانتصر كل حزب لحزبه ومذهبه وقدس كل شيخه على غيره من الأشياخ وكلامه على كلام غيره فتمكنت العداوة والشحناء بينهم البين كما كانت متمكنة بينهم وبين أهل الشرك وانتعشت بينهم الحمية الجاهلية كما ترى فلا تصفوا قلوبهم إلا إذا

رجعوا إلى الحق ودخلوا فيا دخل فيه المسلمون أهل الدعوة نصراء الملة وحماة الشريعة الغراء ودرسوا كتبهم التي اشتملت على علوم الدين وعقائد المسلمين التي يدينون بها لرب العالمين .

وأما أهل « هرج ومرج » فحين فتر الإيمان عن القلوب وضعف النظر الصحيح ووقعت النقيصة بين الأمة بهذا الشكل المريع والسبب الفظيع وأهمل الناس البحث في الداء التماساً للدواء قلّ العلم وكثر الظلم وقست القلوب وفشت الفتن ظاهراً وباطناً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار ما أخوف شيء تخافه على أمة أحمد؟ قال : أئمة مضلون . قال له عمر صدقت . قد أسر إليّ ذلك رسول الله ﷺ وأعلمنيه .

توزيع الأمة بظهور الأئمة

ولما كان في علم الله تعالى أن تتوزع أمة أحمد في مستقبل الأيام بظهور الأئمة الضالين المضلين الذين تنبأ عنهم الرسول ﷺ بالنعت المتقدم وأنها تفترق هذا الافتراق الشنيع استلفتنا عز وجل من كرمه وجليل رأفته إلى هذه الفتنة العقيمة إلى أنها نتيجة أهواء متعددة وآراء متباينة وبدع سيئة وأحداث مهلكة تدخل علي الدين القويم فتزلزله وتورث أتباعها ضلالاً وغروراً وهلاكاً لاسلامة معه وتبعد عن الحق ويتولد عن ذلك معاندة في عدم اقتفاء نور البرهان الذي إليه تتمشى الأنظار وتتصحح به قضايا العقول فقال عز من قائل :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيٓ أَحْسَنَ ﴾[1]

وروي أنه لما نزلت هذه الآية خط رسول الله ﷺ خطاً عن يمينه ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم أفصح التأويل بقوله عليه السلام : « بلوت اليهود فوجدتهم قد كذبوا على أخي موسى فافترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها هالكة ما خلا واحدة ناجية وهي التي ذكرها الله في كتابه فقال عز من قائل :

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[2]

وبلوت النصارى فوجدتهم قد كذبوا على أخي عيسى فافترقوا على اثنتين وسبعين فرقة كلها هالكة ما خلا واحدة ناجية وهي التي ذكرها الله في كتابه بقوله عز وجل :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴾[3]

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٩ .

(٣) سورة المائدة آية ٨٢ .

وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة ما خلا واحدة ناجية وكلهم يدعي تلك الواحدة أو كما قال صلوات الله تعالى وسلامه عليه . رواه الترمذي في الباب الثامن عشر من كتاب الإيمان ، في صحيحه .

بيان الثلاث والسبعين فرقة والتسعة أصول التي جاء الافتراق بأسبابها

وبيان الثلاث والسبعين فرقة : قال الشيخ رضي الله عنه عشرون منها في المرجئة وأربع وعشرون في الشيعة . واثنتي عشرة في المعتزلة . وسبعة عشر في المحكمة . ولم يتعرض للمشبهة لأنهم قد أشركوا بقولهم بالتجسيم .

وقد جاء افتراق هذه الأمة من قبل تسعة أصول ومنها تشعبت بهم الآراء حتى وقعوا في الفضول والهلاك وذلك أنهم اختلفوا في التوحيد ، والعدل ، والقدر ، والولاية ، والبراءة ، والأمر والنهي ، والوعد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين . وأن لامنزلة بين المنزلتين . والأسماء والأحكام .

ومن هنا ازداد الخلاف وتشعبت وعظمت الفتن والأهوال وكثرت الآراء والأقوال وصار لابد للحق أن يكون واحداً ومع واحدة وهي الفرقة الناجية التي أشار عنها الرسول ﷺ أنها إنما هي العاملة بكتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ المقتفية آثار الصحابة العدول الذين أخذوا على يمين الطريق وأسسوا قواعد مذهبهم على الصدق والتحقيق ثم تساندت في صحة المأخذ إلى أهل البصائر من التابعين الذين تميزوا من بين الأئمة بفضل الأسبقية وفضل العالمية والعدالة وإصابة الحق والتمسك بالشريعة الغرّاء من غير ما تبديل ولا تغيير ولا حدث ولا خلاف ولا اختلاف واتسموا بسيرة

المتقين وجازت عليهم نسبة الذين دون غيرهم من المذاهب والفرق من عهد البعثة إلى هلم جرا . طبقة بعد طبقة . وجيلاً بعد جيل .

الفرقة الناجية وإمامها جابر بن زيد رضي الله عنه

ولما كان لابد من ظهور أمر الله تعالى ونفاذ حكمه من تكوين ما هو كائن في أوانه المقرر وزمانه المقدر وكان لله تعالى في كل زمان وأوان بقايا من صفوة خلقه وخبايا من صلحاء عباده لنصرة حقه يجددون بدعواهم ثوب الدين كلما أخلق ويشيدون أركانه كلما تداعت ويتلاحقون بعدول أوليائه وأعوانه : قيض الله تبارك وتعالى من فضله لهذه الفرقة الناجية عبداً من عباده وولياً من أوليائه تحقق من صحة المأخذ بأسباب توفرت له بلطف التوفيق والعون فأبصر بعين قلبه ونور ربه وغزارة علمه إلى معنى قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1]

وإلى معنى حديث النبي ﷺ . « ستَفرِقُ أُمَّتي » رواه ابن ماجة في سننه في الباب السابع عشر كتاب الفتن . وإلى قوله ﷺ : « أخوف ما أخاف على أمتي من أئمة ضالين مضلين قاعدين على أبواب جهنم ينادون إليها كل من أجابهم قذفوه فيها » رواه أحمد بن حنبل في مسنده في الجزء الأول صفحة ٢٢ و٤٤ كما رواه الترمذي في الباب الرابع والعشرين من كتاب الحدود .

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٥ .

ومن هنا استعان بالله العظيم واستعاذ به من عقم هذه الفتنة وتجوز بالاستبصـار في ربح البركة واليسـار واحتمى للأقدام أن تزل والعقول أن تضل فبّوب للدين أصوله وصان له فروعه وجمع الرأي المختار وحفظ لأكابر الأمة التوجيهات والآثار بما يفيد سكون النفس إلى صحيح عباراتها التي لم تدع لقـائل مقـالاً ولم تغـادر للمتنقبين المتشدقين المتفلسفين في مضماره مجالاً . بل بينه وبينهم يتقاصر الشبر عن البا ع . والفتر عن الذرا ع . ألا وهو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي البصري العماني رضي الله عنه . بحر العلم وسراج الدين الذي جمع الله تعالى له بين العلم والعمل والورع والإخلاص وحسن اليقين وكفى بثقته في الرواية لدى جميع أهل الفرق شهرة وتعريفاً وفضلاً وتشريفاً : صاحب ابن عباس رضي الله عنهما وكان أشهر من صحبه وقرأ عليه . وفي الطبقات للشيخ الدرجني . ذكر أبو طالب مكي في كتاب قوت القلوب أن ابن عباس قال : أسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه . وفيه قال أياس بن معاوية . رأيت البصرة وما فيها مفتٍ غير جابر بن زيد . وعن الحصين بن حيان قال . لما مات جابر بن زيد فبلغ موته أنس بن مالك فقال مات أعلم من على ظهر الأرض أو قال مات خير أهل الأرض وقال ابن عباس عجباً لأهل العراق ! كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد لو قصدوا نحوه لوسعهم علمه : .

وله كرامات أيده الله تعالى بها لتقرير شهرته وفضله وإكبار منزلته وقدره بين الناس على الأيام . نذكر هنا بعضاً منها تنبيهاً وتعريفاً .

قال أبو سفيان بن الرحيل كان جابر بن زيد يحج كل سنة فلما كان ذات سنة بعث إليه عامل البصرة أن لاتبرح العام فإن الناس يحتاجون إليك فقال لاأفعل فسجنه . فلما كان غرة ذي الحجة تشفع فيه أكابر القوم فقالوا

للعامل أصلحك الله قد هل هلال ذي الحجة . قال فأطلقه من السجن فخرج فأتى منزله وناقته حوله في الدار قد كان هيئها للخروج فأخذ يشد عليها الرحل ويقول :

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

يا آمنة أعندك شيء . قالت نعم . فهيأته في جرابين فقال من سألك فلا تخبريه بمسيري يومي هذا : فخرج من ليلته وانتهى إلى عرفات والناس بالموقف وقد كان سافر عليها أربعاً وعشرين مرة بين حج وعمرة فلم تك تقطع هذه المسافة البعيدة من البصرة إلى عرفات في تسع ليال .

ومن كراماته رضي الله عنه أنه كان قاعداً على باب داره فخرج ابنه فقبله جابر ومسح رأسه فقال لجلسائه أتروني أحبه ؟ قالوا : أجل . قال صدقتم والله إني لأحبه وما من نازل نزل به أحب إلي من الموت ينزل به وبإخوته ثم ينزل بي ثم بآمنة . قالوا فآمنة أعز عليك من ولدك . قال ما هي بأعزَّ علي منهم . ولكن لا أحب أن أبقى في الدنيا يوماً واحداً عازباً وكان كما تمنى .

وهذا قليل من كثير ليس هذا محل استقصائه وكان مجاب الدعاء قال سألت ربي امرأة مؤمنة وراحلةً صالحةً ورزقا كفافا فأعطانيهن :

وعن أبي سفيان دخل جابر وأبو بلال على عائشة رضي الله عنها فعاتباها على ما كان منها يوم الجمل فاستغفرت وتابت . قال ودخل جابر

---

(١) سورة فاطر آية ٣٥/٢ .

عليها فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها أحد عنها حتى سألها عن جماع رسول الله ﷺ كيف كان يفعل وأن جبينها يتصبب عرقاً وهي تقول سل يا بني ثم قالت ممن أنت قال من أهل المشرق ومن عمان فذكرت له أن النبي عليه السلام أخبرها عنه .

ولد لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر سنة ٢١ واحد وعشرين ومات سنة ٩٦ ست وتسعين من الهجرة . وأخذ عنه العلم خلق كثير واستضاء بنوره جم غفير من نوابغ عصره من جملتهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي . الذي أغنت شهرته عن التعريف إذ كان قدوة في الدين وإماماً للمسلمين : وكان معاصراً لأبي حنيفة ومالك قبل اشتهار مذهبهما . فمن هنا يتبين لصاحب النظر الصحيح أن مذهب أهل الحق إنما كان أسه وقاعدته جابر بن زيد في القرن الأول زمن التابعين ومأثوراً عن الصحابة الراشدين والفضل للأسبق :

وأما مذاهب هؤلاء فإنما ظهرت بعد القرن الثاني والثالث . ألا ترى أن جابر بن زيد رضي الله عنه . حين مات كان عمر مالك إمام المالكية سنة واحدة لأنه ولد سنة ٩٥ خمس وتسعين ومات سنة ١٧٩ مائة وتسع وسبعين وعمر أبي حنيفة حين مات جابر بن زيد خمسة عشر سنة لأنه ولد سنة ٨٠ ثمانين من الهجرة ومات سنة ١٥٠ مئة وخمسين . وأما الشافعي وأحمد فلم يكن لهما وجود في مدة جابر . لأن الشافعي ولد في القرن الثاني سنة ١٥٠ مئة وخمسين ومات سنة ٢٠٤ أربع ومئتين . وأحمد بن حنبل ولد سنة ١٦٤ مئة وأربع وستين ومات سنة مئتين وواحدوأربعين ولم يكن لمذاهب هؤلاء ظهور ولااشتهار إلا بعد المئتين حين تولت الملوك الذين ينتسبون إليهم ويزعمون أنهم من أتباعهم فنصروهم وأيدوا مذاهبهم وأقوالهم

حتى ظهروا واشتهروا : وكان الأوزاعي في زمن مالك وغلب مذهبه على بر الشام . والليث بن سعيد قد غلب مذهبه على بر العراق . وعطا كان مذهبه بمكة وأما مذهب الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه فكان أسبقهم وأفضلهم وأضبطهم للحق وانتشر انتشاراً كلياً في وسط القرن الثاني بالمشرق والمغرب وظل محفوفاً بعناية الله تعالى وحزبه مكتنفاً برحمة الله وتوفيق الله ونصر الله وعلى الحق ومع الحق . لم يقع بين أهله خلاف ولا اختلاف . ولابدلوا ولا غيروا والحمد لله رب العالمين فأين النظر الصحيح الذي يلجئ صاحبه إلى تحكيم العقل فيما شجر بين هؤلاء الذين قالوا بتقليد المتأخرين من الأئمة وحكموا بصحة طرائقهم التي تفلسفوا فيها وحشوها بالقياس والرأي وخطأ التأويل وقطعوا عذر من خالفهم فيها ووجدوا معيناً من مقلديهم يزكونها ويقدسونها على مأخوذ أهل البصائر من الأئمة المتقدمين الذين شهدت لهم العدالة بصحة التحري وضبط السند في المنقول والمعقول عن عدول الصحابة والتابعين وقرب عهدهم بروحانية الوحي ؟ فضلاً عن كونهم أهل بصائر على وفرة من العقول ومن أهل العربية وعرفوا غرض التنزيل فيما فهموه منه ومضوا عليه وما أشكل عليهم بينه لهم رسول الله ﷺ . إذ كان صلوات الله وسلامه عليه واسطة بينهم وبين الله تعالى ومفوضاً له عليه السلام بيان كلما عازهم من البيان والتفسير : قال الله تعالى :

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1)

فأخذ بهم الله عز وجل إلى التفكير فيما شرع لهم رسول الله ﷺ

---

(1) سورة النحل ١٦/٤٤ .

وأطلق الله تبارك وتعالى للعلماء سبيل الاستنباط إلى يوم القيامة لما عرفوه من غرض التنزيل العزيز وسنة النبي ﷺ وجعلهم ولاته وحكامه يعلمون مقتضياته من العموم والخصوص والظاهر والباطن . والمقدم والمؤخر . والمقطوع والموصول والوعد والوعيد . والمحكم والمتشابه . ومن تعدى هذه الحدود واخترمها عمداً واختياراً مستنداً على قوة فهمه وصحة رأيه نعى الله عليه هذا الخبال والوبال وأنذره بقوله عز وجل :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(١)

وقوله تعالى :

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢)

أما العلماء الذين أطلق لهم الله تعالى سبيل الاستنباط فإنما هم الراسخون العاملون المتقون أهل البصائر الذين أثمر الله لهم المناهج في جميع ما نظروا فيه وقالوه من علم وحكم . من مشكل وأمر ونهي . ووعد ووعيد .

وفوض لهم رسول الله ﷺ ما وراء ذلك فجعل لهم حكم النوازل التي

---

(١) النساء ٤/١١٥ .
(٢) الأنفال آية ٢٥ .

لم يشرعها القرآن . ولم يسنها رسول الله ﷺ : فنظروا إلى الله تعالى بعين الخشية في أمر قد كلفهم به وأمرهم فيه بالاجتهاد واستعملوا النظر فما خابوا وتكـلموا بما يعني واحترموا الأمر حتى دخلوا فيمن عنـاهم الله بقوله عز وجل :

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (1)

قال الشيخ أحمد علي الشاذلي صاحب مجلة الإسلام الساكن حالياً حارة النصارى . في سياق المقالة التي نحن بصددها . إن اختلاف الأئمة رحمة والدين يسر لاعسر . فلكل مقلد إمام مذهبه فسحة في دينه . وقد أفرغ إمامه وسعه في المسألة حتى صار عاجزاً عن تجاوز الحد الذي وصل إليه بالدليل من قرآن وحديث وقياس وإجماع . فصار هذا في حقه وحق مقلده المكلف به شرعاً : واستشهد في هذا التوجيه بقوله تعالى :

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (2)

الرد على صاحب مجلة الإسلام أن اختلاف الأئمة رحمة

قلنا يا سي الشيخ مسُلَّم أن اختلاف الأئمة رحمة على فرض صحته . لكن ليس بـالمعنى الذي تقصـده . وإنمـا الاختـلاف المقصـود يقع في التحصيلات لا في الشريعة . وهذا والله أعلم مراد رسول الله ﷺ بقوله :

---

(1) سورة البقرة آية ٢١٣ .

(2) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

« خير أمتي لأمتي أبو بكر ثم عمر وروى وأصلبها في دين الله عمر . وأمينها أبو عبيدة بن الجراح . وأقضاكم علي وأفرضكم زيد بن ثابت وأقرؤكم أبي بن كعب وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل . وإن مع سلمان لعلماً . وعليكم بهدي عمار . وبهدي ابن أم عبد » . أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه . ذلك لأن علوم الشريعة متعددة ومختلفة .

فثبت أن اختلاف الأئمة رحمة من قبل هذه التحصيلات التي لايمكن أن يحرزها واحد ولا يستقصيها واحد مهما بلغ في العلوم الغاية وأدرك من أقسامها الدراية . فهذا الذي يدين به أهل الحق . وأما اعتقاد سي الشيخ الذي صرح به في مقالته (الرد على المغرور) أن الاختلاف إنما يقع على الفرق التي بانت من مذهب المسلمين بأئمتها الذين هلكوا بالذي ابتدعوه في دين الله ورأوه ديناً واعتقدوه أنه حق عند الله وقطعوا عذر من خالفهم فيه وصاروا بذلك من أهل النار إلا الفرقة المحقة. والفرقة واحدة أفراق . وفرق . لقوله ﷺ : « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة ناجية » فقضى عليهم رسول الله ﷺ بالنار جميعاً إلا فرقة أهل الحق :

فإن كان هذا الحديث ثابتاً عند سي الشيخ واعتقده مرفوعاً مسنداً صحيحاً صادقاً كما ثبت عندنا واعتقدناه كذلك . وجب أن يحكم بأن المذاهب الأربعة جزء من الأفراق المحكوم عليها بالنار على لسان نبي الأمة صلوات الله وسلامه عليه .

وإن أخذ به الغرور وكواذب الآمال إلى أن أربعة المذاهب هي الواحدة الناجية وحمل هذا على صحة اجتماع المسلمين عليها . قلنا له إن الاحتمال ساقط من يد المحتج . والغرور ثمرة الكذب . وكواذب الآمال

نهايتها خيبة المآل : ومن هم المسلمون الذين اجتمعوا على صحة ذلك ورضوا بتوزيع الشرعة إلى شرائع والطريقة إلى طرائق والفرقة إلى أفراق ؟ هل كان الإجماع تناول كل إمام من الأئمة الأربعة في عصره على حدته . أم بعد انقراضهم اجتمع مقلدوهم في عصر إمامهم الأخير أحمد بن حنبل على صحة إجماع مقلديهم من السلف ومضوا على أن الحق مع الأئمة الأربعة ؟ فإذا كان كذلك والمقام محتمل الأمرين فلماذا لم يأخذ مالك بأقوال الإمام أبي حنيفة لأسبقيته في العلم وفي السن وأخذه من المصادر الثقة والاجتماع بالتابعين ؟ بل قال فيه إن أبا حنيفة شيطان قذفه اليم . أبو حنيفة أضل لهذه الأمة من الشيطان الرجيم . وذلك لقوله بالأرجاء ولنقضه السنن بالرأي . فلم يتفق مالك مع أبي حنيفة على مأخوذه ومقاله . بل هو أيضاً ظهر بمذهبه وانفرد بمقاله وله زلات عدَّها عليه أهل البصائر : أليس هذا من الفتنة التي نبه الله عنها وحذرنا منها في قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1]

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٥ .

ويا عجباً لماذا لم يأخذ أبو حنيفة

ويا عجبا لماذا لم يأخذ أبو حنيفة بمأخوذ أهل الدعوة الذين عاصروه مثل أبي عبيدة مسلم . وعبد الله بن إباض وغيرهم من القادة الكرام الذين استقوا من منهل العالم العظيم الفيصل الكريم جابر بن زيد . الذي أخذ الدين عن أكابر الدين . عن عبد الله بن عباس علم الفقه ونبراس الدين الذي دعا له رسول الله ﷺ . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . عن أكابر الصحابة عن رسول الله ﷺ . عن جبريل عليه السلام . عن اللوح المحفوظ . عن رب العالمين : فكان أحرى به أن ينضم إليهم في اتحاد الكلمة وتوحيد المذهب واتباع مواقع اليمن والبركة وما كان يجدر به أن يسير دفته مع تيار الفتنة الجارف ! .

ولماذا قاضي الشريعة؟

ولماذا قاضي الشريعة الإمام الشافعي إذا كان فقيهاً حاذقاً نبيهاً واستحق هذا المنصب جدارة لم يرجع بمداركه ويبصر بعين بصيرته إلى أحق القولين وأصوب الرأيين لأبي حنيفة ومالك . وهو المتأخر عنهما سناً وفضلاً وعالمية فيعمل به ويمضي عليه ويأمن شيئاً أخافه عليه التنزيل وأحرجه وهو الافتراق واتباع سبيل البدعة ؟ بيد أن الفقه في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله ﷺ إنما هو معرفة حقائق العلل . والعلة في وعيد قوله تعالى :

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

إنما تتأكد بإيجاد معلولها وهي التفرقة في الدين فلو لم ينتحل لنفسه مذهباً ثالثاً أثبته ديناً وقطع عذر من خالفه فيه لكان أحرى لسلامته وأجمع لجدارته بتسميته قاضياً للشريعة : ولكن قد غلبت سوابق الشقاء على أمره فتولى جسيماً فيما انتحله في دين الله . وابتدعه في شريعة المسلمين . وصارت زلاته ولا كل الزلات خصوصاً في إباحة الفروج المحرمة .

فمنها القول بتحليل الزانية لمن زنى بها وهو على خلاف ما ورد عن أهل العلم والفقه من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من الثقاة . وقد

(١) سورة الأنفال آية ٢٥ .

قالت عائشة رضي الله عنها أيما رجل زنى بامرأة ثم تزوجها فهما زانيان إلى يوم القيامة . ثم لم يكتفوا بذلك حتى قالوا بالخيار له بين أن ينكحها وبين أن ينكح بنتها التي هي منه والله تعالى يقول :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾[1]

ولم يستثن من هذا التحريم شيئاً وأيضاً لو كان كونها عن زنا علة لخروجها عن الحرمة على أبيها للزم إذاً كان المولود بالزنا ذكراً أن يحل لأمه أيضاً لأنهما سواء في التحريم والعلة . وقد حرم رسول الله ﷺ وفاقاً للكتاب على الرجل من اغتذت بلبن أبيه من غير وقوع نكاح بين صاحبة البنت وصاحب اللبن فكيف لاتحرم عليه من تولدت من منيه :

ومنها أنه أثبت في النكاح شروطاً مخالفة لما كان عليه السلف . وحكم بأن مخالفة واحد منها في النكاح يكون حراماً كعدالة الولي وبلوغه وكونه الأقرب من غيره . وغير ابن . وعدالة الشهود . فعلى قوله بتحليل المولودة بالحرام . يلزم تحليل المولودة بنكاح الولي الفاسق . أو الذي لم يبلغ . أو الأبعد أو الابن . وقد جرت مع ذلك مناكحات السلف في زمن النبي ﷺ وبعده بهذه الوجوه كلها التي نقضها عليهم قاضي الشريعة فلزم بقوله أن يكون الصحابة نكحوا حراماً وجاءت بناتهم من الحرام : وهذا قليل من كثير بعد اختلافهم في الأصول التسعة المتقدمة في السياق . وربما انتبه بعض مقلديه لهذا التناقض والخلاف فيغض الطرف عنه لغلبة التقليد عليه وأدباً لإمامه واحتراماً لمقامه . والوهم بأنه قاضي الشريعة يا إمام .

---

(١) سورة النساء آية ٢٣ .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١)

ولماذا أحمد بن حنبل

ولماذا أحمد بن حنبل قد نَدَّ عن صفقة قاضي الشريعة وصفقة الإمامين اللذين من قبله . أبي حنيفة ومالك . وقال هو أيضاً بقوله رابعة وأثبتها ديناً وقلده الكثيرون وقطع عذر من خالفه فيها وصارت سيرتهم جميعاً في المقلدين بينهم البين كسيرة أهل الإسلام في الوثنيين . وجعلوا أقوال أئمتهم وسلطة حكامهم مقدسة على الكتاب والسنة وآثار السلف . بل جعلوها أصلاً والكتاب والسنة وسيرة أهل الدعوة فرعاً . ومن خالفهم في ذلك كفروه وقالوا ليس بسني ولا مسلم :

وسأفصح لك يا سي الشيخ عن الدين إفصاحاً وبياناً وأكشف لك عن معنى السنيين الذين أنت منهم . لتزداد بهم فخراً وتشريفاً إن قدر الله تعالى لنا السلامة .

الرد على سي الشيخ في قوله أن الدين يسر لا عسر

وأما قولك يا سي الشيخ إن الدين يسر لاعسر . قلنا لك اللهم نعم . خصوصاً في بدء الإسلام حين كانت الجنة بلا إله إلا الله محمد رسول الله فقط وذلك قبل نزول الفرائض : فلما نزلت الفرائض صارت لا إله إلا الله ولا بد وأن تؤدى معها الفرائض عملاً وإخلاصاً .

---

(١) سورة الحج آية ٤٦ .

ولما وقع الابتلاء

ولمـا وقع الابتـلاء وانتهى العـلم إلى العقـلاء أهل النظر الصحيح النـاظرين في البراهين و الدلائل النيرة صـاروا ولا غنى لهم عن النظر في عقليات الشريعة ولا يتسنى لهم هذا النظر مهما توفر فيهم الذهن الحاضر . والعقـل الوافر . والسـليقـة السليمة . والفهم الثاقب . والتأمل الدقيق . والبحث والتنقيب . إلا بتثبيت القـرآن أنـه حق من عنـد الله تعـالى وأن حججه أعظم الحجج . وبراهينه أعظم البراهين . ودلائله أنور الدلائل :

فإن كان كذلك نقول لسـي الشيخ المتنور سـليم السـليقة إن أنفاس الشريعة الغراء أمرٌ يسره الله تعالى فسهله فيجب الأخذ فيه باليسر ما وجد إلى ذلك سبيل بغير ما تفريط ولا افراط في حدود الله عز وجل . ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد كره المسائل وعابها و لم يشرح للناس من مسائل الاعتقاد شيئاً سوى الجملة التي كان يدعو إليها . فإذا نطق أحد بالجملة . فيقول ﷺ لأصحابه فقهوا أخاكم ولا تجاوزوا به مسائل الصلاة والزكاة والآداب . وأمرٌ عسره وشدّد فيه فلا تعارض له ولا تهاون به . وقد شدد الله تعالى في آية الربا ما لم يشدّد في غيرها فقال عز من قائل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (١)

فأذن العباد بالحرب عند عدم الإذعان للأمر .

وأما إن كان مقصود سي الشيخ صـاحب مجلة الإسلام أن الدين

(١) سورة البقرة آية ٢٧٨ ـــ ٢٧٩ .

يسر من قبل ما يجب على المقلدين لأئمة مذاهبهم في الأخذ بدينهم عنهم قضية مسلمة اعتماداً على أن أئمتهم من العلماء الراسخين الذين أطلق الله لهم سبيل الاجتهاد والاستنباط واستخراج الحكم وأن الحجة لاتقوم عليهم ولايجب عليهم البحث فيما جاءهم عن أئمتهم غير المعصومين من الأقاويل التي كسبت في وجهتها خطأ وزللا وخلافاً وباطلاً . باعتبار أنهم أمناء الشريعة وولاتها . وقد أفرغوا وسعهم في المسألة حتى صاروا عاجزين عن تجاوز الحد الذي لم يبلغه مقلدوهم ؟ قلنا له إن كان هذا مقصدك يا سي الشيخ أحمد علي . فقد أخطأت المرمى وتعسفت طريق الحكمة وقلت بمالا يصح القول به لأن أئمة الفرق بما فيهم أئمتك الأربعة الذين استقوا من جداول الأشعرية التي مصدرها أبو موسى الأشعري الذي عزل الإمام علي ابن أبي طالب ونقض بيعته على المنبر : اختلفوا في الطلاق والعتاق والبيع والشراء والنكاح والديات والجراحات وأحكام الدماء والاستبراء من العدة وبالجملة في معظم الحدود . فيكون الشيء حلالاً عند بعضهم حراماً عند آخرين كمن أثبت منهم الطلاق وأبطل غيره . حتى صارت المرأة طالقاً لا طالقاً . والشيء مباحاً محظوراً والشيء صواباً خطأ . وهلم جرا . لأن الحق إذا كان مع واحد فالباطل مع الأخرين وكذلك الصواب والخطأ والمباح والمحظور على هذا النسق : فمن أخطأ الحق وقع في الباطل . لأنه ضده من جهة اللغة وإن شئت من جهة الشرع وقع في الضلال . والله تعالى يقول :

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[1] .

فإذا امتنعوا أن يجعلوا الحق واحداً . لزم أن يجعلوا الحق والباطل جائزين . والخطأ والصواب كذلك . والمباح والمحظور أيضاً مثله . في كل

(١) سورة يونس آية ٣٢ .

حكم يحكمون به على الشيء الواحد . اعتماداً على أن ذلك اجتهاد منهم واستخراج ونظر : غير مكترثين بالنص والأثر وإجماع السلف . الذين لم يشهدوا مناجزة هؤلاء الأئمة الذين ظهروا في أخر القرن الثاني من الهجرة ولم يسمعوا ربهم ألا تنبأ من رسول الله ﷺ حين سأله حذيفة بن اليماني رضي الله عنه فقال . يا رسول الله هذا الخير الذي أتانا الله بك هل بعده من شر ؟ قال نعم : الفتنة . قال : وهل بعد الفتنة من خير . قال : نعم . إغضاء على أقذأ وهدنة على دخن . قال حذيفة : وهل بعد الخير من شر . قال : نعم : أئمة ضالون مضلون قاعدون على أبواب جهنم ينادون إليها كل من أجابهم قذفوه فيها . أو كما قال صلوات الله تعالى وسلامه عليه . الباب الأول كتاب الفتن سنن أبي داود .

كذلك سمعوا بهم استخراجاً من كتاب الله العزيز الوارد في قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (1)

وقوله تعالى :

﴿ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (2)

ونقول أيضاً لسي الشيخ الساكن حارة النصارى حالياً . أنه قد وقع البوار على من قال بالتقليد لأنه يكون وقد صادم بقوله أوامر العزيز الجبار

(1) سورة الأنعام آية ١٥٣ .
(2) سورة الأنفال آية ٢٥ .

وهدم قواعد إجماع ذوي البصائر والأبصار الذين قدوتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو القائل ما من عالم إلا وفي علمه مأخوذ ومتروك . ما خلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ : يعني أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو المعصوم عن الخطأ والزلل والخلاف والانحراف فهو وحده المأخوذ بأقواله المقتدى بأفعاله قضية مسلمة بلا تشكيك ولا ترديد .

وقد تعبدنا الله تبارك وتعالى باتباع الكتاب والسنة والكون مع الصادقين وهم المهتدون في جميع سبل الله . ولم يوجب علينا الكون مع الصادقين إلا لما سبق في علمه تعالى أن سيكون من العباد غير صادقين . وهم الذين لم يهتدوا في تحرياتهم الحق إلى سبل الله الدالة على الحق ولم يرتادوها بالباصرة النقادة . والبصيرة الوقادة . وذلك لأنهم جبلوا على الفتنة التي جف عنها القلم . فلم يمرنوا أنفهسم على الإخلاص والعمل لما عند الله تعالى . بل عمدوا على متشابهات التنزيل وتصرفوا فيها خطأ وتحريفاً بما لهم من الحذق في فن التفلسف والتنطس والجدل وتركوا الآيات المحكمات اللاتي هن أم الكتاب . ابتغاء الفتنة وتبعاً لأهوائهم . واستباحوا بذلك حرمة العقل ومواقع آثاره في كشف الغوامض واستجلاء الحقائق ورد الشبهات وحل المشكلات على أن العقل رأس مال العلماء الذين توجه لهم الإلزام بالمجاهدة في رد المتشابهات إلى المحكمات . كما توجه الإلزام لكل من يفهم ويعقل ما يسمعه ويقرؤه من عقليات الشريعة الحنيفية السمحاء بالمجاهدة في معاني آيات كتاب الله العزيز دون أن يلزموا أنفسهم قولاً معيناً من أمثال العلماء غير المعصومين وقد ضمن الله تبارك وتعالى لمن جاهد فيها أن يهديه إليها فيفوز بالكون مع أهلها الصادقين فيها . قال الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1]

فثبت بهذا التوجيه أن التقليد لايمنع من المجاهدة في الحق وأنه لايجب تقليد غير المعصوم وقد قطع سي الشيخ أحمد علي الشاذلي على الناس سبيل المجاهدة وأراد أن يستوقف المقلدين للمذاهب الأربعة عن المجاهدة في الحق وعن الاستماع إلى غيرهم ليأخذوا الحق حيث وجدوه ويردوا الباطل على من جاء به وفاقاً لحديث رسول الله ﷺ « اقبل الحق ممن جاء به من صغير أو كبير وإن كان بغيضاً بعيداً ورد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان حبيباً قريباً » وعلى هذا الدليل قد تتمشى الحجة بحذافيرها إلى مواقع كلام سي الشيخ ومن يشايعه على وجوب تقليد غير المعصوم وتنقضه حرفاً حرفاً . وتدحضه جملة جملة . حتى ترهق سي الشيخ كشفة توقفه في حارة النصارى وحيداً حيران لا يسمع قرآناً ولا أذاناً سوى الناقوس وترتيل المزمار . ونداء من السماء بالويل والثبور . وبعد ذلك سفر إلى عدل الآخرة وهناك يتحقق قول الله تبارك وتعالى في الملحد الغافل المفرط المتساهل الذي يقول :

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾[2]

وقد أتتك يا سي الشيخ أربع آيات خصوصيات محكمات . واضحات . قطع الله بها عذرك وعذر من وافقك على أقوالك أولها : قول الله عز وجل :

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

(٢) سورة طه آية ١٢٥ ــ ١٢٦ .

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]

والثانية :

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2]

والثالثة :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[3]

والرابعة :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[4]

والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .

هرولة الشيخ سي أحمد علي الشاذلي إلى نزع آية من كتاب الله العزيز

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٢) سورة الانفال اية ٢٥ .

(٣) سورة النساء آية ١١٥ .

(٤) سورة السجدة آية ٢٢ .

أخذ منا العجب مأخذه الأوفر حين رأينا الشيخ سي أحمد علي الشاذلي قد هرول إلى نزع آية من كتاب الله العزيز وهي قوله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١)

واستشهد بها على ابتلاء أئمته الأربعة في جمعهم علوم الدين وجعلها خصيصة بهم دون المقلدين الذين على مثال المغرور الذي استهدفه سي الشيخ لسهامه المسممة وجعله كالببغاء ينطق بما يسمع من الكلمات دون أن يفقه معناها . على أن المقلد المغرور قد حفته العناية بلطف التوفيق وتجلى على قلبه نور الهدى فأبصر بعين بصيرته أن الخطب المتفاقم بين المسلمين إنما جاءت أسبابه من قبل اختلاف المذاهب الأربعة التي وحدها سي الشيخ وجعل شرائعها المتباينة شريعة واحدة وأفراقها فرقة واحدة ومجموعها يتكون إلى الواحدة الناجية وأراد المغرور أن تتوحد هذه الآراء إلى رأي صحيح وتتحد الكلمة المتفرقة ويرجع الناس إلى أحكام الكتاب والسنة ورأي أهل الدعوة .

على أن المغرور لم يعرف الأفراق المتعددة ولا معنى الافتراق الذي توزعت به الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة . بل هو شب على أن دين الله في المذاهب الأربعة كما شب غيره من معظم المصريين على هذا الاعتقاد واتخذوه ديناً . فلما اهتدى إلى هذه العلل تنغَّص صفوه وشاب ضميره من جراء ما رآه وسمعه وطالعه من التناقض والاختلاف الوارد في كل عبارة من

---

(٦) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

عبارات الأئمة الأربعة فطلب السلامة من هذا التشبط والتخبط ليتوصل إلى الدين النقي والعلم الصحيح الذي لا يعتوره اختلال ولا اضطراب . فأيكما أحق بالثناء على حسن النظر ! أأنت يا سي الشيخ إذ قطعت على المسلمين طريق الاجتهاد والنظر في الأحرى والأصوب وقدست طريقة التقليد الوارد فيها شديد الوعيد ؟ أم المغرور الذي لم يكن أزهرياً ولا طالب علم بل أفندياً عادياً وربما كان أميا زكياً فهماً ممن ميزهم الله بشيء من العقل والفهم فأبصر هذا الشطط وانقبضت نفسه أمامه واندفع بعامل الهداية إلى ارتياد سبيل الحق والمجاهدة فيه حتى يصيبه ؟ نترك هذا لحكمك تحكم فيه بحكمتك يا شاذلي يا سي أحمد علي . ثم انظر أيضاً هل من يغضب لله تعالى ويتعصب للحق ويرتاد صراط الله المستقيم ويمتنع عن تقليد غير المعصوم ويتعهد المجاهدة في جميع سبل الله يكون عندك يا سي الشيخ كافراً رافضياً غير سني ببغاء مغروراً خارجاً عن الملة والدين . فما هذا التناقض يا قوم وكلكم يعتقد أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة ولو مات عاصياً لم يعرف بحقوق الجملة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ وتلحقه شفاعة الرسول بعد دخوله النار هنيهة .

على أن كل من قال بعدم التقليد والتزم أمر الله تعالى بالمجاهدة في الحق وارتياد طريقه وخالف الأئمة الأربعة بل الاثنتين والسبعين فرقة قد نطقوا بجملة التوحيد فكيف تحكم عليهم بالمروق من الدين بعلة تركهم التقليد للأئمة الأربعة وكيف يجوز أن يشفع لهم الرسول ﷺ في هذه الكبيرة فيخرجون من النار ويدخلون الجنة : تأمل يا أزهري يا شاذلي يا صاحب مجلة الإسلام أنت ومن شايعك على هذا القول الباطل والمقال المتناقض وضع نفسك أنت وهم في المنزلة التي أكسبتك وإياهم صفة الغباوة

وأرجعتكم جميعاً عن العلم وجعلتكم مصرّين على العناد وإلا فالأعضاء الذين واطؤوا على الإجماع بأن يكون الحق أربعة واحداً فإنما هم أشلاء عمي الباصرة والبصيرة لأنهم بهذه المواطأة قد تجاوزوا أقانيم النصارى ولكن أمد الباطل لايطول والحق واحد ومع واحد وفي واحد على أنه في حال تناطح الأئمة الأربعة بعضهم لبعض وتصايحهم على بعضهم البعض من أجل تقديس كلام كل منهم على الآخر لايخلو من أن بعض الأعضاء الذين شهدوا موسم الإجماع قد سمع واتصل إليه خبر هذا التناطح والتصايح ولاتخلوا هذه الفظائع من كونها مدونة في كتب كل مذهب ولو كان الأعضاء طائعين لله تعالى ولرسوله عليه السلام وقبلوا عن رسول الله ﷺ الجملة بشرائطها . ما أطاعوا أئمتهم وردوا النص مواجهة . وردوا على رسول الله ﷺ قوله أئمة ضالين مضلين وقوله عليه السلام : « كلها هالكة في النار إلا واحدة ناجية ». صفحة ١٤٥ من الجزء الثالث لمسند ابن حنبل وقول أفضل الأمة رضي الله عنه ما من عالم إلا وفي علمه مأخوذ ومتروك ما خلا صاحب هذا القبر سلام الله عليه .

نعم إن الحجة لاتقوم على العوام والأميين من الرجال والنساء في تقليد المجتهدين إلا بالقواعد الخمس التي بنى عليها الإسلام من الشهادة والصلاة والزكاة والصوم وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً وما أتى به الإسلام من المكارم .

فلو اقتصر الشيخ سي أحمد علي الشاذلي على مطالبة هؤلاء الأصناف من العوام والأميين والذين لابصيرة لهم في القواعد الخمسة بتقليد أئمته الأربعة وأقام عليهم الحجة إذا امتنعوا لكان أقرب لسلامته وأسلم لسوء اختياره المفضي إلى العار والبوار والسلال والأغلال لأن الله تعالى أرأف

وأرحم من أن يؤاخذ أحداً بذنب غيره كما قال تعالى :

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(1)

وهؤلاء الأصناف قد غاب عنهم معرفة التفرقة والأفراق لأنهم ارتضعوا من ثدي أوائلهم الاعتقاد بأن الأصل في الأمة السلامة والغالب على الدنيا الإسلام والخير والمسلمون على الحق والتساوي في القصد واتحاد الكلمة ولذلك نرى من هؤلاء الأصناف ممن سبقت لهم السعادة أزلاً . أن الله تعالى يدرج في عقولهم فهماً يتمشون به على حدود التكاليف بخشية واحترام . فيعملون بهذا الفهم الإلهامي من عمل العبادات ما يكون مقبولاً عند الله ولو كان قليلاً . عن عمل الكثيرين ممن حصلوا علماً وفقهاً ومعرفة ولو كان كثيراً . فالله تعالى يقبل القليل من العمل مع حسن النية والإخلاص والمواظبة ويعفو عن الكثير من الذنوب والزلات مع التوبة والإنابة .

الابتلاء البسيط في العلم الذي لا يسع جهله

على أن لهؤلاء الأصناف أيضاً ابتلاءً بسيطاً في العلم الذي لا يسع جهله يتوجه لهم الإلزام بطلبه إذا غاب عنهم ونحن نورد لك يا شيخ سي أحمد على : أقوال مشايخ أهل الدعوة رضي الله عنهم فيما لايسع جهله وهي التكاليف البسيطة التي لا تعزب عن علم الأميين والعوام من الذكور والإناث من أهل دعوة المسلمين المتسمين بالإباضية العصابة الممقوتة في نظرك ونظر أشياعك لتعلم أن هذه العصابة قد ثبتت على المنهج المسلوك إلى

---

(1) سورة الإسراء آية ١٥ .

صراط الله المستقيم وكيفت مقدار نعمة التوفيق . فتواجدوا ابتهالاً إلى الله تبارك وتعالى يستزيدونه من مواهب هذه النعمة ويستعيذون به من كل فتنة ومحنة وظلوا مشمولين بالعصمة والعون . قوالين فعالين أوابين توابين على الأيام والأجيال منصورين ظاهرين لا مبدلين ولا مغيرين .

وإليك هذا العلم الذي لا يسع جهله : قال الشيخ أبو الربيع سليمان ابن يخلف رضي الله عنه في « باب مالا يسع الناس جهله » : مما يجب على كل بالغ عند بلوغه وصحة عقله حراً كان . أو عبداً ذكراً كان أو أنثى . معرفة أن الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن ما جاء به حق من عند ربه وأن الله خالق لجميع الأشياء وأن له الملائكة والنبيين والرسل والكتب وعليهم معرفة جبريل عليه السلام بالقصد إليه وأنه رسول رب العالمين إلى محمد عليه السلام . وعليهم معرفة محمد عليه السلام أنه رسول رب العالمين إلى الناس كافة وأنه خاتم النبيين . وعليهم معرفة الأب الأكبر أبينا آدم عليه السلام باسمه ونبوته ورسالته إلى أولاده وأنه أول المرسلين . وعليهم معرفة القرآن مقصوداً إليه ومفروزاً من جملة الكتب . وعليهم معرفة الجنة أنها ثواب لأهل طاعته على طاعتهم ومعرفة النار أنها عقاب لأهل معصيته على معصيتهم لربهم . وعليهم معرفة الموت والبعث والحساب والعقاب . وعليهم معرفة تحريم دماء المسلمين بتوحيدهم إياه وإفرادهم له ومعرفة تحليل دماء المشركين على شركهم لربهم ومساواتهم له بغيره وعليهم ولاية المسلمين جملة وعليهم أن يقصدوا بولايتهم إلى كل من لا يسعهم جهله مثل جبريل عليه السلام من الملائكة ومحمد وآدم عليهما السلام من النبيين . وعليهم البراءة من الكافرين جملة . وعليهم معرفة جملة النبيين أنّهم من نسل آدم عليه السلام . وعليهم فرز ما بين الكبائر وذلك أن يعرفوا أن

الشرك مساواة الله بغيره وذلك أن يصفه بصفة غيره ويوصف غيره بصفته . وعليهم معرفة أن الله تعالى أمر بطاعته ونهى عن معصيته وأنه مثيب على طاعته ويعاقب على معصيته وأن ثوابه لا يشبهه ثواب وعقابه لا يشبهه عقاب وأن الله موال لأوليائه ومعاد لأعدائه . وعليهم معرفة الإسلام والمسلمين والكفر والكافرين وذلك أن الكافرين كافرون بكفرهم وأن المسلمين مسلمون بإسلامهم . وعليهم معرفة أن الله تبارك وتعالى ألزم المسلمين علم ذلك وأوجب على العلم به ثواباً وعلى الجهل به عقاباً انتهى . اهـ .

جملة اعتراضية وجوابها

وكأني بك يا أحمد علي يا شاذلي وقد دبت نعرة الحمية الجاهلية في مسارب أنفك فاستهوتك إلى أن تكون حيران جموحاً فتقف بك النفس على شفا جرف هار فتخلع لجام المراقبة وتصرح بالتمرد والملاحدة وتقول من أين للنساء والعوام والأميين علم هذه الأوجه التي اشتملت عليها تفصيلات جملة (العلم الذي لا يسع جهه) على إيجازها وسهولة تناولها . وكيف يصل إلى هذه الأصناف علم ما غاب عنهم وليس لهم من مخيلاتهم جاذب يجتذب هذا الكلام فينقشه عليها وأنى لهم بمن يعلمهم ويلقنهم مشتملات هذه الجملة ؟

قلنا له قد قامت حجة الله تعالى علي خلقه في قوله عز وجل : يا أيها الناس : يا أيها الذين آمنوا : فهذا الخطاب استغرق جميع العقلاء البالغين من الرجال والنساء ودخل فيه العامي والأمي بدون استثناء فقال :

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ (١)

فأمر بطاعته وتقواه جميع العقلاء فدخل النساء في الخطاب على أن لهن خطاباً مفرداً وقد يكون ذلك عند العرب على أن الأفضل آت على المفضول والرجال على النساء فلما صغوا للأمر بتأمل تأيدت عقائدهم وتسلسل أمرهم بصحة التوحيد خصوصاً وأن النفوس جبلت على فطرة الإذعان لآداب الشرع إذا ما اقتبسوا ذلك من تسليط الآباء والأولياء : والعلماء . مع ذلك . مرجع الجميع يربون في قلوب المسلمين مزايا تتكيفها مخيلاتهم ولاسيما الموفقين الذين يتأولون قول الله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢)

وحديث رسول الله ﷺ « كل راع مسؤل عن رعيته يوم القيامة » الصفحة ١٠٨ من الجزء الثاني لمسند أحمد بن حنبل فالإمام يسأل عن رعيته والرعية تسأل عن إمامها . والزوجة تسأل عن القيام بحق زوجها . وعن ما ضيعت . والرجل يسأل عن حق زوجته . والعبد يسأل عن القيام بحق مولاه . وما ضيع من حقه . والمولى يسأل عن ما ضيع من حق عبده . والجار يسأل عن جاره والولد عن حق والده . والوالد عن حق ولده . وكذلك قال الحكم العدل :

(١) سورة الطلاق آية ١٠ .

(٢) سورة التحريم آية ٦ .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وذلك فيما أدبهم الله وأمرهم أن يعلموا أهليهم وأولادهم وأزواجهم وخدمهم وعبيدهم ومن هو من أهليهم بحيث يبلغ أقصاهم وأدناهم ويحذرهم الحرام وارتكاب الآثام ويأمرهم بطاعة ذي الجلال والإكرام . ويرجع ذلك إلى عناية العلماء وأولياء الأمور وولاة الشؤون . لأن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا . فهم الشرب المورود . والكهف المقصود . وعدل الآخرة يا أحمد يا علي يا صاحب مجلة الإسلام موعده قريب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

الابتلاء المركب

وأما الابتلاء المركب يا أحمد يا علي فإنما هو في العلم الأساسي من شرع ربنا فقواعده قد قامت على ثلاثة أوجه التنزيل والسنة ورأي المسلمين (الإجماع) فمن أنكر وجهاً واحداً من هذه الثلاثة فقد كفر لأن الراد لوجه منها بمنزلة الراد لجميعها وعندكم أن الراد لجميعها وقال لا إله إلا الله فلا يكفر .

فمن التنزيل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وصيام شهر رمضان والاغتسال من الجنابة والوضوء والحج والجهاد في سبيل الله والقيام لله بالقسط وفرائض الميراث وتحريم ذوات المحارم من النساء وذوي المحارم من

---

(١) سورة الحجر آية ٩٢ ــ ٩٣ .

الرجال وتحريم الجمع بين الأختين وتحريم ما نكح الآباء على الأبناء وتحريم ما نكح الأبناء على الآباء وتحريم الزنى والسرقة والجلد في ذلك والقطع وتحريم القذف وحده وتحريم أكل أموال الناس بالباطل وتحريم الخمر وتحريم الربا وتحريم قتل الصيد للمحرم وتحليله للمحل وتحريم الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وتحريم إيتاء النساء في المحيض : والولاية والبراءة والوقوف وما أشبه هذه الأشياء مما جاء به التنزيل ومن السنة العدد للصلوات ومقادير الفرائض في الزكاة والرجم للزاني إذا كان محصناً وصلاة الوتر والمضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين والاستنجاء والاختتان وأن لا وصية لوارث وأن لايتوارث أهل ملتين وفي الإماء إذا اشترين أو سبين أن يستبرين والحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة وأن لا يقتل الوالد بولده والخيار للأمة إذا هي اعتقت وأمثالها من السنة مما ليس له في كتاب الله عز وجل ذكر :

ومن رأي المسلمين عقد الإمامة وأن لا إمامين في ملة واحدة والفقد والجلد على الخمر وميراث الجدتين وقيام شهر رمضان وما أشبه ذلك مما ليس له في كتاب الله العزيز ولافي سنة رسول الله ﷺ ذكر .

وليس القول في ذلك على ما قاله من خالف العدل ممن يزعم أن جميع ما فرض الله من دينه وما أحل من حلاله وما حرم من حرامه مذكور جميع ذلك في كتاب الله وتكلفوا استخراجه من نص الكتاب وهم المتكلفون لأنفسهم من ذلك حتى موهوا على الضعفة انتحالاتهم . ولو ردوا علم ما كلفوه إلى العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من الأئمة العدول لكان أقرب لهم إلى الرشد وأروح لعقولهم .

وهذا هو العلم الذي انتهى إلى العلماء وأمروا أن يصونوه من عبث العابثين وأهواء المبتدعين وضلال المضللين كما أمروا أن ينظروا فيه باحترام وخشية حتى لا يخطئهم صواب المرمى وسبل التحقيق .

وأما تسعة الأصول التي ذكرناها في سياق الرسالة إنها إنما كانت من أسٍّ الافتراق وتشتيت الأمة وتمزيقها بهذا الشكل المحسوس والحال المنحوس فقد كان رأسها وأم آياتها ثلاثة نفر رجل يقال له معبد الجهمي وآخر يقال له غيلان الدمشقي وآخر يقال له يونس الأسواري خالفوا المسلمين في عقائدهم وديانتهم وفتحوا باب هذا الشر في القدر ونسبوا أفعالهم إلى قدرتهم ونفوا قدرة الله تعالى عنها فزاغوا بذلك وضلوا ضلالاً بعيداً ومن ثم تزايد الخلاف وتشعب حتى تفرق أهل الإسلام وأصحاب المقالات إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة ناجية وكلهم يدعى تلك الفرقة ويقول إن الحق بيده دون غيره . كقولك يا أحمد يا علي إن أربع الفرق فرقة واحدة وصار كل حزب بما لديهم فرحون . ومن فرحك يا أحمد يا علي بأئمة مذاهبك الأربعة أن لهم في بيت الله الحرام أربع مقامات لكل إمام مذهب مقام يصلي فيه مقلدوه على أنهم أحدثوا في حرم الله ما لم يأذن به الله ولا رسوله وابتدعوا في دينه ما يوجب سخطه . لأن النبي ﷺ قال « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » الباب السابع في سنن ابن ماجه . ولو جاز لأحد أن يختص ببقعة من مسجد الله الحرام لكان رسول الله ﷺ وأصحابه أو من قبله من الأنبياء أحق وأولى بذلك . ولكن حاشاهم أن يتجاسروا أو يتعدوا حدود ما أمر الله سبحانه وتعالى باتخاذه من مقام خليله إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (١)

وأن الله سبحانه وتعالى قد سوى في مسجده الحرام بين المسلمين جميعاً حيث قال :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢)

ولو كان الأمر سائغاً كما فعل أهل مذاهبك يا أحمد علي يا شاذلي . لما وجد المتأخر أين يقف في مسجد الله لكثرة المسلمين ووجودهم قبل حدوث أئمتك ولكن ما دعاهم إلى هذه البدع والزيغ والضلال إلا حب الشهرة والثناء وبقاء الذكر مع مساعدة الملوك وأتباعهم على فعلهم ذلك حتى صارت هذه المقامات ضراراً على مقام خليله إبراهيم عليه السلام وتفريقاً بين المؤمنين حتى لا تجد عامياً من عوامهم يكاد يذكر في الغالب مقام إبراهيم عليه السلام إلا مقام حنفي . مالكي . شافعي . حنبلي . ويعتقدون أن ذلك هو الدين والمذهب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فلا أتركك يا أحمد علي يا شاذلي على خبثك و انتهاكك حرمة الإسلام والمسلمين وتحاملك على المغرور الذي نعته بنعوت الببغاء حتى أقتلك شرعاً بحكم إمامك إذا هو واطأ المسلمين عليه ثم الله تعالى يقتلك

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .

(٢) سورة الحج آية ٢٥ .

بسيفه العادل على أثر ذلك إنه سميع بصير لا تخفى عليه ضمائر خلقه وما تكنه صدورهم .

اعلم يا أحمد علي يا شاذلي أن الله تبارك وتعالى ما وضع الديانات كلها بين الأمم إلا لنجاة النفوس من الهلاك ولما جاء الإسلام بمعجزة القرآن على لسان سيد ولد عدنان عليه الصلاة والسلام فجعل أمته أفضل الأولين والآخرين وجاء القرآن مصدقاً لذلك في قوله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(1)

ثم توزعت في أواخر القرن الثاني بظهور أئمة الفرق التي نبه الله عنها وتولت السنة بيان ذلك بأن الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة فقصر رسول الله ﷺ الحق على الفرقة الثالثة والسبعين وما سواها في الهلاك والردى أبد الآبدين إلامن رحم ربي وشمله لطف التوفيق مثل المغرور فأبصر الحق وتاب عن اعتقاد البدع ورجع إلى أهل الصواب : ثم جاء الافتراق على الأصول التسعة الآنفة الذكر ثم تباينوا في الفروع ثم تناجزوا في الرأي وصارت الفرق الاثنتين والسبعين ولا كرامة لها في نظر أهل الحق .

وإني أنزع لك الدليل

وإني أنزع لك الدليل بالسؤال الذي أوجهه لك وهو أنك تنظر في دواوين أئمتك الأربعة الذين هم في نظرك الفرقة الناجية والواحدة التي بيدها الحق . هل فيها أحكام الولاية والبراءة والوقوف إجمالاً وتفصيلاً وتقسيماً

---

(1) سورة آل عمران آية ١١٠ .

وتبوبيباً كما هي مدونة عند أهل الدعوة؟ الذين إمامهم جابر بن زيد رضي الله عنه . وهي الجمل الثلاثة التي تعبد الله بها عباده قديماً في كل شريعة من شرائع الأمم المتقدمة بما ظهر للناس فيما بينهم البين من العبادات والأفعال والمعاملات دون ما غاب عنهم وهل فيها أحكام الكتمان والظهور وفي حالتي الترك والفعل كما هي مدونة في كتب أهل الدعوة؟ وهل فيها الأحكام التي تحل بها دماء المسلمين؟ وأما الولاية والبراءة والوقوف فلاحظ لكم فيها مطلقاً وادعيتم أن علمها لم يضلكم شكاسة وعناداً وزوراً وبهتاناً إذ كانت أحكامها في غير موضع من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وأنتم تأولتموها حسب أهوائكم تحريفاً وتخليطاً وسائلكم عنها الله تعالى طويلاً بلا عفو ولا رحمة لأنكم حين أهملتموها ولم تكترثوا بها كانت السبب الأقوى في ضياع الدين وإيقاع الأمة في أشد الخطيئات . وجلب البليات واستفاض من تيار إهمال هذه الأحكام الثلاثة نجاسة ورجاسة على قلوب الأتباع والمقلدين ما جعلتها حالكة لا تنجلي إلا بالإنقلاع عن هذا الاعتقاد والرجوع إلى الله تعالى بصدق العزيمة والدخول فيما دخل فيه المسلمون والأخذ بمأخوذهم في جميع الأحوال والأعمال والأقوال التي مرجعها الكتاب والسنة ورأي الأخيار المصطفين الأبرار من الصحابة والتابعين ومن نهج منهجهم واقتفى أثرهم ونظر في الكتب التي اشتملت على العلم الصحيح والدين النقي الذي لا تراد فيه كما فعل البسطام أبو النظر والإمام الغزالي في آخر عمره كما صرح بذلك في كتابه المسمى بالاقتصاد والاعتقاد وغيرهم من أكابر العلماء الذين كانوا أتباع أئمة الفرق المذكورة وكذلك الكتمان والظهور . يا أحمد على لك الويل والثبور . فلا تعرفون أحكامهما ولذلك ضللتم وأضللتم !.

وأما إن قلت إن عندكم الأحكام التي تحل بها دماء المسلمين قلنا لك إن هذه الأحكام بما فيها تحلة دماء الطاعن في دين المسلمين والدال على عورات المسلمين فإن قلت نعم عندنا علم ذلك . قلنا لك يا برد ذاك الذي قلت على كبدي وقد قتلت نفسك يا أحمد يا علي يا شاذلي بهذا الإقرار وحكم القتل إنما وقع عليك بعلة طعنك في دين المسلمين وهم الإباضية ودلالتك على عورات المسلمين لكتمانك الحق المشروع وإظهارك ضده من الباطل الممنوع وإنك عرضت بالمغرور الذي أنكر كثرة المذاهب وشؤم هذه التفرقة وجعلته ببغاء وجاهلاً ومغروراً وواليت أعداء الدين بجهلك أحكام الولاية والبراءة والوقوف حتى سكنت في حيهم الذي وقع عليه التسمية بحارة النصارى فالحكم نطق عليك بالقتل وسوف يقتلك الله شر قتلة بهذه الخصال التي جبلت عليها من الخبث والخب والشر والنفاق وكفى الله المؤمنين القتال والحمد لله رب العالمين .

التصور والتصديق

اعلم يا أحمد علي يا شاذلي أن للإنسان العاقل نصيبين نصيب في تصور الأشياء ونصيب في التصديق بحقيقتها . والعقل رأس النصيبين ز فإذا تجلى له الحق والصواب فيما تصوره صبا إلى التصديق وانحاز إلى جانب التحقيق وإلا فالحكمة اقتضت تنوع الاستعدادات لتنوع الشؤون المختلفة والفضل والخير في القلة والحجاب على بصائر الكثرة الذين لا يباشرون إلاّ ما يناسب استعدادهم وقابلياتهم . فكل أمر ينساق إلى تمام حكمته فهو رشد وخير وكل أمر لاينساق إلى تمام حكمته فهو شر وضير فإذا كنت عاقلاً ووصلتك هذه الرسالة وقرأت ما كتبته إليك رداً على أقوالك التي

اشتملتها مجلتك من الخب والنفاق وفظائع الشقاق وأبصرت الحق فيها . لايسعك إلا أن تحمد الله الذي جعل لك إخواناً في الجملة يعاتبونك ويراجعونك فيما بلغهم عنك من الزيغ وخبث الأخلاق والتقصير في النظر والعلم قبل يوم القيامة .

آثار التوبة في كلام المغرور

وقد أراك الله آثار التوبة في كلام المغرور الذي لم يرق له وجدانك وهجمت عليه بهنات اقتضت مجالاً وهدمت منك كمالاً وأورثتك وبالاً ثم استدرجك الله عز وجل بعبرة التوبة إذ كنت بطيئاً في السباق قاصراً عن اللحاق فأراك تلك العبرة في كلام صنوك في مدرسة النوابغ ولكنه ساد عليك في غاية المرمى . وقرينك ولكنه علاك بشرف المنازع على تأثير الأحرى . وهو صاحب مقالة (آمالنا في الأزهر) المبسوطة تباعاً في جريدة المؤيد تحت إمضاء أزهري على أني لا أعلم له اسماً بل علمت قدره من لفظه .

وآخر صاحب مقالة (النادي المصري) في نفس الجريدة صاحبها من طلبة مدرسة الحقوق الخديوية قيل عن الأول إنه ممن يعزا إلى الورع والصلاح وممن ضرب في الدراسة بالقداح وأديرت عليه من راح المذاكرة أقداح : وقيل في الثاني إنه آنس من لطف التوفيق ما يتمشى به إلى الهدى والتحقيق أكثر الله من أمثالهما :

وهاك أهم ما لوحوا به من زفرات الكتمان . من شؤم توزيع الدين إلى أديان . وإيثار الإساءة على الإحسان . والعذاب على الغفران والنفاق على الإيمان . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال الشيخ الأزهري وفقه الله تعالى

في النبذة الرابعة في مقالة آمالنا في الأزهر بمؤيد عدد ٤٦٥٣ الصادر يوم الأربعاء ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ بعد كلام طويل عن طريق التعليم والعثرات التي تحول بين الطالب وبين نيله من العلم أمنيته .

أمر بك أيها القارئ على درس يقرأ فيه أول كتاب من النحو والطالب في أول أيامه يحاول أن يجني زهرة يتمتع بلذتها وعقله خلو من أي قاعدة نحوية يمكنه أن يتصرف بها في الكلمة فيعربها . نجد ماذا ؟ نجد الشيخ شرع يعرب للطلاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم » وهناك يسمع الطالب ما شاء الشيخ وشاء الكفراوي من الخلاف في باء بسم أزائدة هي أم أصلية ؟ هذا أول ما يشعر به (خلاف لم يعرف له أصل) ثم تسمع أوجه الإعراب في الرحمن الرحيم من رفعهما وجرهما ونصبهما وينشد على مسمعه :

أنْ يَنْصَبَ الرَّحمنُ أو يَرتَفِعَا فالجرُّ في الرحيم قطعاً منعاً

تأمل يا أحمد علي يا شاذلي في الخلاف الذي انتحله مشايخك في باء بسم ولم يعرف له أصل .

ثم انتقل الشيخ الأزهري صاحب المقالة إلى موضع أخر فقال :

فكتب الخلاف تروي وجهي المسألة ثم تتبعه بقولها والأول هو الصحيح أو المعتمد أو المفتى به أو رجحه فلان ولا يدري الطالب علام استند أولئك المرجحون وبأي قاعدة تمسك أولئك المفتون سبحانك اللهم إلى هذا الحد من الهون وصلنا ؟

لو كان الأمر محصوراً على الأئمة المجتهدين الذين ارتضت الأمة لهم هذه السعة لهان علينا ما نكابده اليوم ولكنا صرنا ملزمين أن نسمع وندين لكل مؤلف مات نأخذ كلامه بالتسليم وإن وقفناه على إقامة الدليل كناقد خرقنا سياج الشرع ووضعنا أنفسنا بموضع لسنا له بأهل والله يعلم والملائكة والناس أجمعون أن المتقدمين من فقهائنا بعد الأئمة لو كانوا قد ارتضوا لأنفسهم هذه الخطة لما كان في فروع الفقه اليوم خلاف . بل كانوا تلقوا ما رووه عن أئمتهم من غير أن يبحثوا فيه فصار كل مذهب واحد لا تراد فيه — ثم تخلص أمام الأغبياء من هذا التلويح قائلاً : ليعلم القارئ أني لست داعية لإحداث مذاهب جديدة . فإن الخلاف الذي بيننا يكفي أن يقعد بنا عن عظائم الأعمال والرقي إلى درجات الكمال وإنما ادعوا إلى إعطاء هذا العلم حقه من اسمه وهو الفقه فإن الفقه هو الفهم والفهم إلا عن دليل لايكون علما فمن لم ينقب عن الأدلة لايكون فقيهاً ولاعالماً . بل ولا مقلداً .

أأنت بالبال يا أحمد علي يا أزهري يا شاذلي من هذا التخلص بعد التصريح بالتخبط والتشبط والخلاف والانحراف عن سبيل الحق . وهذا من الشيخ صاحب المقالة تحفظاً واحتياطاً من أن يقابله غبيٌّ من الأغبياء الذين يتعصبون للمذاهب الأربعة فيقولون هذا رافضي وهذا إباضي هذا خارجي ليس بسني وهو مع ذلك براء من انتسابه إلى غير الحق والصواب ثم قال الشيخ الأزهري صاحب المقالة في موضع آخر .

قلما نجد من يقرأ التفسير أو الحديث ليستعين بهما يوماً على فهم شريعة الله التي ارتضاها لنا ورضينا بها وصالحنا يدرسها مستدرا بها الرحمة والبركة . ولو قرأها على وجهها واستعملها لما أنزلت له لكان له من ذلك خير كثير ورحمة وافرة .. إلخ .

فما قولك يا أحمد علي بعد هذا التصريح من أزهري مثلك قرأ ما قرأت ودرس ما درست ولكنه سليم السليقة نير البصيرة متقد القريحة وأنت غبي ليس للشريعة فيك شيء ولا الآداب فيك شيء وليس لله فيك شيء ولا الناس والملائكة . وإنما لمالك وزبائنه غدا شيء فيك إن شاء الله تعالى .

النادي المصري

وهـاك كلام فتى العـلم والأدب الذي إن ذكر في أهـل البحث والتنقيب فيـا للعجب . قضت عليه سجاياه العارية عن الزهو أن يصون للتسميـة حرمتهـا . ويتحرى للشريعة الغراء موانع سـلامتها . الذي برهن بتوجيهات نفثاته في مقاله الآتي ما يؤخذ منها أنه طالب بمدرسة الحقوق . على أنه علم الناشئة المباركة وهو بعناية التوفيق ملحوظ ومرموق .

قال أكثر الله من أمثاله :

إنني ما عاقرت خمراً قط وما غازلت فتاة ولكن بالقلب حناناً لذلك النادي والمخيلة تعظمه وتكبره . ذلك لأن في فطرة النفس ميلاً إلى الاجتماع واجتماع الأمثال أشهى لها . ولست أفسر هذا الميل الطبيعي بما سبقني به الغير وإنما أعظمه بتفكيره وأستقبح أن تكون داعية هذا الميل الشريف حب الظهور أو طلب النفع الخاص فأنى ذلك اليوم الذي يجمعنا والإخوان ناد واحد توحد فيه مذاهبنا وآراؤنا وآمالنا وأميالنا فنصبح كالبنيان يشد بعضه بعضاً . لست بشاعر اكتفى بقصيدة مدح ويقعدني الشعر عن العمل وإنما أنا شـاب من هؤلاء الطلبة أجد في إنفاذ هذا المشروع العزيز وأسعى في ارتقائه وإني اليوم جئت مبشراً ونذيراً .

هذا المشروع جديد اللفظ قديم المعنى دلت عليه الحاجة من زمن

مديد ولكنه لايزال بين الطلبة مشروعاً ومذاهبهم فيه مختلفة فجزى الله ذلك الفاضـل الذي أخذ على نفسه إعلان ما تكنه ضمائر الطلبة وهو لا يألو جهداً في الدعاء له . وما سبب التقاعد عن تلبية النداء إلا التخبط في بيان كيف يكون النادي .؟ وقد كثرت الآراء في بيانه وتحديده إلى حد يضحك ويبكي معاً . فلعل المؤيد وهو صاحب المشروع يوضح لنا حدود النادي وشروط الدخول فيه تحديداً واضحاً ليعلم كل راغب فيه كنه الفرق بين هذا النادي وبين الاجتماعات الحرة الأخرى . ولم يبق علينا بعد ذلك إلا شكر من يشاركنا في إحساسنا ويسعى إلى تعضيدنا بقلب وعزم ثابتين : اهـ .

لعلك يا أحمد علي يا ساكن حارة النصارى متابع توجيهات الفتى في نفثات زفراته وتبادر إلى ذهنك بالرغم عن اضطراب فهمك . معنى قوله « فأنى ذلك اليوم الذي يجمعنا والإخوان ناد واحد توحّد فيه مذاهبنا وآراؤنا وآمالنا وأميالنا فنصبح كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . أليس هذا تقريراً من الفتى بأحوال الاضطراب والاختلال المتلازمين في أخلاق الأمة من اختلافها وخلافها وانحرافها وتحاقدها وتحاسدها وتدابرها وتباينها وتهاجرها وتنابزها بالألقاب حتى انحل النظام وتساوى في الفتنة الخاص والعام وسكنوا جميعاً في مساكن التظالم والتباغي والتخاصم والتخاذل وأولها فتنة الدار . وأوسطها عدو الله الحجاج الثقفي . وثالثها أنت يا شاذلي . لما في صدرك من الضغن والحقد للمسلمين وانتصارك في اجتهادك على مسألة سمعتها بأذنك أو طالعتها ببصرك ولم تتجاوز بها إلى بصيرتك لأنها مطموسة بضباب النفاق والشقاق : فأمثالكم الذين أخلوا مودة المسلمين وحلوا بسوء أخلاقهم وفساد بطانتهم ما كان مرتبطاً بين المسلمين وحاولوا بنزعات الشيطان أن يقيموا الحجة على غاياتهم أمام المسلمين وصاروا لاحظ لهم إلا

التناوش وستر الحق وإذاعة الباطل . فأركسهم الله بما كسبوا وجعل خبائث نياتهم سبباً لكشف عوراتهم في كل جيل وزمان . فهم القوميات المتباينة . والأهواء المفترقة . والمذاهب المختلفة . وما جعلهم الله أولى بإصابة الحق دون من سبقهم من أكابر العلماء العاملين والفقهاء العارفين من الصحابة والتابعين الذين أنصفوا فيما تأولوه من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ واقتفاء أثر الصالحين الخلفاء الراشدين . وتم إنصافهم بالتوفيق الذي عقلهم عن التخبط والتشبط . والتهور والتورط . وتكيف وجدانهم بأسرار نور الهداية وحاشاهم الله من أن يكونوا في زمرة من أخبر الله تعالى عنهم في قوله :

﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

مجمل القول في النهاية

ومجمل القول في نهاية ما أردناه في الكلام على هذه النقطة الأولى أن المغرور الذي أنكرت عليه يا أحمد يا علي . رأيه . ونظره . فإنما هو أفضل منك حذقاً ونباهة فهو المحق وأنت المبطل . وهو المصيب وأنت المخطىء . والشيخ الفاضل الأزهري اجتهد فأبصر . وأبصر فقال . ولم تصرفه صعوبة المقام عن المناضلة والنزال أكثر الله من أمثاله :

وأما الفتى الطالب بمدرسة الحقوق فقد انتحل لنفسه مرامي عالية تمشى إليها بالعزم الأعلى فصادفها نهضة فيكشف حجابها الحائل بينها وبين

(١) سورة الأعراف آية ١٣٢ .

الظهـور المنظور إذا تأسست قواعدها على مثـال هذا الفتى الذي امتطى صهوة المنازل الشريفة في مجال فرصة النادي فانبعث يتصيد العزائم ويجمع الأيدي بعد افتراقهـا ويؤلف بين القـلوب بعد تباغضها ويوحد المذاهب والأهواء والآراء والآمال والأميال وهذا مقصد شهد للفتى بحسن استعداده إلى احترام الواجب وصدق العهد ، ذلك العهد الذي بني عليه الدين فالله تعالى نسأل أن يتولى توفيق هذا الفتى ويهدي به فتياناً وكهولاً وشباناً ويجمعنا وإياه في أسر الأوقات بحمد الله الكريم المنان .

قد تم ما أردناه من الكلام على النقطة الأولى وسنباشر الكلام على النقطـة الثانية إن قدر الله تعالى لنا السـلامة وكان له في ذلك رضىً ولنا وللمسلمين فيه صلاح والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده ويدفع عنا نقمه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * * * *
* * *

الكلام على النقطة الثانية
العقائد والمسلمون في الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن ما جاء به حق من عند ربه أشهد أن الدين كما شرع وأن الإسلام كما وصف وأن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله هو الحق المبين ذكر الله محمداً بخير وصلى عليه وحياه بالسلام . اللهم إني أرجو أن يكون ما كتبته في الرسالة الأولى توفيقاً منك كما أطمع في فضلك غير المتناهي وفيضك العميم أن أكون قد أوضحت الحق لمن أردت به خيراً فإني سمعتك تقول وقولك الحق وأنت أصدق القائلين :

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1]

ليس العجب من قول الهندي في مقالته المذكورة (جلبت إلينا بكلكلتّه مجلة يقال لها « المنار » جلبها رجل يقال له محمد حسن وهابي

(١) سورة الذاريات آية ٥٥ .

المذهب فلم يلبث إلا قليلاً حتى ندم على ما فعل ولكن لم تزل المجلة تأتي إلى بعض من ينتمي إليـه فكنت في بعض الأحيـان أجدها في أيدي بعض أصحابنا المقلدين فأنظر فيها لأقف على غرض منشئها وشيعته فلم أجد فيها إلا الدعوة إلى نبذ المذاهب التي عليها مدار الشريعة الغراء كمذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد . وعدم التعويل على كلام أحد من الفقهاء والمفسرين والرجوع في جميع الأحكام إلى الكتاب والسنة . ومن هنا فأي من أخذ الكتـاب والسنة ترسـا يتحصنون به في إقامتهم بدعتهم يدخلون الغفلة على العوام وهي الدعوة التي ضلت بها الخوارج بعينها وكفروا بها أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قالوا له كيف لم تجب إلى الدعوة إلى كتـاب الله كما هو مشهور : وخرجوا عنـه بعد أن كانوا من أصحـابـه فحـاربهـم أمير المؤمنـين فقطع الله دابرهم على يديه إلا من فر » ... إلخ .

فليس العجب من هذه العبـارة لأن صـاحبها قد تخبط فيها خبط عشواء وسلك سبيلاً برهن فيه على أنه ولابد له من تجديد إسلامه . لأنه كتب ما كتب والشيطان وليه بين كتفيه يحدثه بأنه لن يكون هندياً مسلماً حتى يقول بما يوجب اتهامه في دينه . لأن الكتاب والسنة هما الأساسان المتينان اللذان بني عليهما صرح الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله لعباده ديناً . فهما المرجع والمسند وبغيرهما لا دين ولا إسلام !.

فمن أهم ما نقض به قوله بقوله وعزا الجهالة إلى نفسه . قوله (اي من أخذهم الكتاب والسنة يتحصنون به في إقامتهم بدعتهم) فالترس وقاية

من ضرر آلات النزال لفظـاً أراد بـه ربط الأسبـاب بالمسببـات والترس بالكتاب والسنة وقاية من ضرر البدعة والباطل والإحداث معنى . واللفظ قشر والمعنى لب . وفي هذا نظر لمن تأمل في هذا التناقض وأبصر . لأن من تحصن بهما لايمكن أن تلحقه بدعة ولا يحدث عليهما حدثاً : وأما المبتدع والمنتحل لنفسه أقوالاً فلا يكاد يتساند بها إلى الكتاب والسنة لأنهما ضد الباطل وأمد الباطل قصير . ما علينا .

وإنما العجب من صاحب اللواء كيف تجوَّز إدراج هذه المقالة في صحيفته وهو حاذق نبيه ويعلم أن استهلالها بهذا اللفظ والمعنى قد جردها من كل مزية ورواء وأن منشيء هذه المقالة يريد بها خبّاً وشرا بين المسلمين . بل هو عدو من الأعداء وجاهل من الجهلاء وغبي من الأغبياء اللهم إلا أن يكون صاحب اللواء فيما تجوَّزه من إدراجها في جريدته قاصداً أحد أمرين . إما تعريضاً بجهل الهندي وخبث طويته للإسلام والمسلمين وهذا مما أطمع في الله تعالى أن يكون كذلك « وإما أن يكون فيه شعبة من شعاب حقد المصريين لبعضهم البعض فأذن للهندي أن يدخل بمقاله في جداول الجريدة تشفياً وانتقاماً من المنار وشيعته . وهذا هو الداء العقيم في مصر الذي لا ينقشع إلا بصحة الإيمان . الأمر الذي يجعل مخرجنا ومشتكانا في ذلك إلى الله وإلى ذوي البصائر من المسلمين » . مع أن ما نقم من نقم على صاحب اللواء وأمثاله من أرباب الصحف العظيمة . إلا على أمر هذا بعضه . وحرم ذلك على المؤمنين .

أما قولة الهندي

أما قولة الهندي وهي الدعوة التي ضلت بها الخوارج بعينها وكفروا بها أمير

المؤمنين .. إلخ : فهي قولة عمومية تسلسل أمرها وتداول القول بها بين معظم أفخاذ السنيين والأشعريين وبعض من بطون الشيعة إذا لم نقل الكل ذلك لأننا تعمدنا هذا الاستثناء على عكس مراميه ليعلم أن عموم بطون الشيعة على تعدد نحلهم وكثرة مذاهبهم هم الأكثر تعصباً وأشد عداوة لمن يسمونهم بالخوارج لأنهم على زعمهم أن الخوارج هم أعداء علي بن أبي طالب . وكيف يعادي الناس إماماً مطاعاً حيا بجبال رضوى . الأسد عن يمينه والنمر عن شماله ولابد أن يسوق العرب بعصاتين !؟.

وزاد أنهم والسنيون والأشعريون اتفقوا على أن يحيوا الإمام علي بن أبي طالب بشعار الأنبياء وتحيتهم كلما ذكر وأدخلوه في زمرة الأنبياء والمرسلين الذين اختصهم الله بهذه التحية .

فلا غرابة إذن بعد قدح روافضهم وغاليتهم في الإسلام والنبوة والإلوهية وقولهم إن علياً لا يأمر بشيء إلا كفر تاركه فجاوزوا بمعصية الله عز وجل حكم الله في نفسه وأن في معصية الله ما ليس بكفر .

وبعضهم يقول إن علياً نبي فأبطلوا قول الله عز وجل في محمد خاتم النبيين حيث يقول :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (1)

وبعضهم يقول إن الشيعة كلهم ليس عليهم من عمل الشرائع شيء إلا من يبلغ بحقيقة الإيمان بعلي وذريته فتلزمه الفرائض عقوبة له حتى يستبصر ويتحقق منزلة علي وذريته . عندها تسقط عنه الفرائض . هذا ما

---

(1) سورة الأحزاب آية ٤٠ .

كان من أمر الشيعة وروافضهم وغاليتهم في السيد علي بن أبي طالب وذريته وأما الخوارج الذين تعسفت فيهم تلك الأفخاذ والبطون حتى أرهقوا فتنة الاختلافات والإشكالات عقماً بين الناس فافترقوا ولم يجتمعوا بعد فإن القسمة تحصرهم في أربعة أرهاط .

تقسيم الخوارج إلى أربعة أرهاط

الرهط الأول طلحة والزبير فأول من فتح باب الخروج على الأئمة بغير حل طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أما عائشة رضي الله عنها فإنها ثابت إلى الحق واستغفرت وتابت ومن تاب تاب الله عليه وأما طلحة والزبير فإنهما نكثا صفقتهما ونقضا عهدهما الذي أخذه عليهما (علي) حين استأذناه في العمرة وجعلا الله كفيلاً على أنهما يعتمران ويرجعان ولا يحدثان حدثا . فلما بلغا مكة نكثا الصفقة ونقضا العهد الوثيق الذي أعطياه لعلي فوجدا بمكة عائشة وعبد الله بن الزبير وابن عامر وسعيد بن العاص ويعلا بن منبه والوليد بن عقبة ومن كان بمكة من بني أمية فالتمسوا وجها يتوصلون به إلى الخلاف . فأشار عليهم ابن عامر أن يظهروا أن عثمان قتل مظلوماً وأنه استخلف عبد الله بن الزبير وكان عزيزاً على عائشة . وأن علياً أخذ هذا الأمر لنفسه من غير مشورة ولا رضًى من المسلمين فيلتمسون بذلك خروج عائشة معهم .

فلما عرضوا عليها هذا التبييت وهذه الخدعة امتنعت كل الامتناع ولكن تذل الأمور للتقادير حتى لايكون الأمر للتدبير فانطلق الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله يواصلان الوسائل والتدبيرات ويزاولان الخدائع حتى فتنا عائشة أم المؤمنين واستنزلاها عن بصيرتها في عثمان . بعد أن كانت تخرج المصحف من خدرها وتقول أشهد بالله أن عثمان قد كفر بما في

هذا المصحف وكانت تقول إن الله قتل عثمان بذنبه . إن سربال رسول الله ﷺ لم يبل حتى بدل عثمان دينه . فما زالا بها حتى أخرجاها من بيتها وقد أمرها الله عز وجل أن تقر في بيتها . فلما وصلوا البصرة أظهروا أن عثمان قتل بعد التوبة وأظهروا الطلب بدمه ودعوا الناس إلى القتال وقالوا لرعاع الناس وجها لهم ومن لابصيرة له هذه أم المؤمنين وحرم رسول الله ﷺ معنا وبين أيدينا وقد خرجت من المدينة وتركت حجرتها التي كان الوحي ينزل فيها وجوار قبر رسول الله ﷺ رغبة في نصرة قتيل الظلم وإنكار البيعة لعلي . وفي أثناء مسيرها إلى البصرة مع الجمع الذي كان مركباً من غوغاء الناس وجها لهم وأسرع الناس إلى الاختلاف والفتنة لقلة فهمهم في الدين وسوء نظرهم في الأمور وشدة حرصهم على الدنيا . وردوا بليل ماء يقال له الحوْب عليه أناس من بني كلاب : فقالت عائشة ما اسم هذا الماء ؟ فقال لها السائق الحوْب فاسترجعت وقالت ردوني إلى حرم رسوله وذكرت أن رسول الله ﷺ قال « كلاب ماء يقال له الحوْب قد تنبح امرأة من نسائي وهي فيه راكبة معصية » صفحة ٥٢ و٩٧ من الجزء السادس من مسند ابن حنبل . فقال عبد الله بن الزبير ليس هذا بالحوْب . وقيل القائل الزبير وكان في ساقة الناس . قال المسعودي وهو من الأشعرية ممن تحرى لأصحابه الأشعريين والسنيين صدق الأخبار لأنه تاريخي مهم في هذه الأمة .

قال فلحقها الزبير وطلحة فأقسما إنه ليس بالحوْب وشهد معهما خمسون ممن كان معهم . قال المسعودي وذلك أول شهادة زور في الإسلام كما قال ذلك غير المسعودي . فأتى الخبر علياً بخروجهم وطلبهم بدم عثمان . قال والله يعلم أنهم قتلوه . فبعث عثمان ابن حنيف فمانعهم البصرة حين وردوها وقد سبقهم إليها . فأصطلحوا على الكف عن القتال إلى أن يرد علي . فلما كان في بعض الليالي بيتوا عثمان وأسروه ونتفوا لحيته وضربوه

ومنعهم من قتله خوفهم على أهلهم بالمدينة من أخيه سهل ومانعهم خازن بيت المال فقتلوا منهم سبعين رجلاً غير الجرحى ومنهم خمسون قتلوا صبرا . قال المسعودي وهؤلاء أول من قتل في الإسلام صبراً وظلماً . وقتل حكيم ابن جبلة وكان سيداً زاهداً وناسكاً ويسمى المتقولون هناك السبابجة .

والحاصل أن أكثر حديث الناس في هذه الفتنة على قدر شهواتهم والحق أبلج وعلى الشهوة ظلمة والحق فيها مع علي والاتفاق على توبة عائشة ورجوعها إلى المدينة .

حصل ما حصل من رجلين عظيمين عالمين لاتنقاد عقولهما إلى ضروب الصواب ولم يهتديا إلى سبيل الحق لسوابق الشقاء الغالب . لأنهما نكثا البيعة ونقضا العهود ورجعا عن علمهما إذ كانا في مقدمة المسلمين من الأنصار والمهاجرين الذين مالؤوا على قتل عثمان بعلم ودين ثم هما رجعا عن هذا العلم وفتحا للخروج باباً وجعلا للخروج طريقاً مسلوكاً فلينظر أهل النظر والبصيرة فيما ذكرناه إجمالاً وتفصيلاً تاركين التقصي لطالب الحقيقة والبحث يطلبها في محالّها من الكتب المطولة ليقف على حكمي الولاية والبراءة هل كان المسلمون في معاملتهم وعبادتهم في هذه الوقائع على هذين الحكمين أم كانوا إنما يتخبطون العشواء في دينهم .

الرهط الثاني

والرهط الثاني هو معاوية وعمرو بن العاص ومن شايعهما . فقد شقا عصا الطاعة أمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وانتحلا لنفسيهما ما ليس لهما بحال من الأحوال وهما يعلمان أن بيعته حق عند الله تعالى والملائكة والناس . لأنها كانت على أيدي الصحابة وبقية الشورى والكل كانوا قبل

الفتنة أصحاب عقول وأهل بصائر في دينهم قائمين بواجبات الجامعة متناصرين للحق متخيرين مواقع اليمن والبركة . فلما جاء الوقت الذي جف عنه القلم بتكوين ما هو كائن وقع الابتلاء وظهر التميز بين السعيد والشقي وظهر معاوية ووزيره وأشياعهما فسفكوا الدماء وأظهروا الفساد ونبذوا القرآن وفارقوا أهل التوحيد والإيمان وتاريخهما لايكاد يخفى على الخاص والعام من هذه الأمة في كل جيل وزمان وقتلهم أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار .

الرهط الثالث

وأما الرهط الثالث فهو أهل النهروان وهم عموماً إباضيون ومن هنا صار الكلام وله وقع عند القراء لأنهم يريدون أن يعلموا شيئاً عن الإباضيين الذين قال فيهم أحمد علي الشاذلي صاحب مجلة الإسلام (ومنهم الإباضيون الموجودون الآن) اتهاماً بأنهم كانوا قد ماتوا ثم حيا من بينهم قاسم بن سعيد الشماخي ومصطفى بن إسماعيل المصري !!!

الإباضيون

قلنا إنّ أهل النهروان هم إباضيون عموماً وذلك لأنهم قد كان فيهم من يقينهم هاد لايضل ومن مجاهدتهم في الله تعالى حادٍ لا يمل فاجتمعت نفوسهم الكريمة على ركوب الخطر في مجاهدة النفس على تعظيم أمر الله عز وجل حين دعاهم بقوله تبارك وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1]

وقوله تعالى :

﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[2]

فتسلسل أمرهم بشدة التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وضاق عليهم العمل بخلاف ما هم عليه من علم ما علمهم الله عز وجل وتداولت بينهم هذه السيرة طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل إلى هلم جرا .

كيف لاوهم الذين تواصوا بتنبيه الله سبحانه الوارد في قوله عز وجل :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾[3]

فهم أهل القرآن في مقامي التنزيل والتأويل لاسيا وهم الذين عرفوا الحكمة في قوله عز وجل :

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4]

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ٣ .

(٣) سورة المائدة آية ٢ .

(٤) سورة الأنفال آية ٤٦ .

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1]

أهل النهروان الذين من أكابرهم عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي ثبت عن رسول الله ﷺ عند الأمة أن الفئة الباغية تقتله ومات في فتنة صفين ومات معه جماعة من كبراء الصحابة قبل نقض القضية من السيد علي بن أبي طالب فلما رفعوا المصاحف وانخدع علي بعد انتقاض صفوف البغات الضالين وهزمهم الله على أيدي أوليائه ودعوا إلى كتاب الله خرجت طائفة من أصحاب علي أهل النهروان فقالوا لا حكم إلا لله والله ما كتاب الله يريدون وتقلدوا سيوفهم واعتقلوا رماحهم وقالوا لعلي قد مضى الحكم في معاوية وأصحابه حتى يرجعوا إلى كتاب الله .

أهل النهروان الذين قالوا لمن خالفهم ممن كان معهم ورضوا بالحكومة قد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم متى كنتم محقين حين كنتم تقاتلون وخياركم يقتلون فأنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال محقون أم أنتم الآن مبطلون فقتلاكم الذين خير منكم ولا تنكرون فضلهم إذاً في النار وهم لها مستحقون !!

أهل النهروان الذين منهم الأشتر النخعي الذي حين دعاه علي إلى كتاب القضية فقيل له أكتب اسمك فقال لا صحبني يميني ولا نفعني شمالي إن خط لي في هذا الكتاب باسم علي صلح أو مواعدة فإذاً لست على بينة من ديني ويقين من ضلال عدوي !

(١) سورة الأنفال آية ٢٥ .

أهل النهروان الذين منهم الأحنف بن قيس الذي قال لعلي بن أبي طالب (حين أبى عليه معاوية أن يكتب أمير المؤمنين وقال له لو أقررنا لك بها لم نقاتلك وإنا إذاً لظلمة) لاتخلع اسماً بايعت عليه الناس وإني أخاف إن نزعته أن لا يرجع إليك أبداً .

أهل النهروان الذين كرهوا الحكومة بعد حكم الله في الفئة الباغية حيث قال تبارك وتعالى :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1]

ولم يجدوا بعد هذا الحكم وحياً نزل من السماء فأبطله وسوغ الحكم في الفئة الباغية للناس إذ كل أمر جاء فيه فصل من الله فليس للناس أن يحكموا فيه الرجال وكل حكم جعله الله إلى الناس فهو إليهم .

والعجب أن تمسك أهل النهروان بحكم الله تعالى الوارد به التنزيل الذي لايسع الناس إلا المضاء عليه كان دعوة عند أغوياء القرآن وسخروا بالفريق الذي قال به وجعلوه خارجياً وجعلوا رأي علي بن أبي طالب ومن وافقه على القضية هو الأحق بالاحترام وأولى بالمضاء عليه دون حكم الله

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2]

حتى صار لفظة لاحكم إلا لله : عندهم التسمية المنسوبة للإباضيين والسمة الممقوتة المتسمين بها أهل النهروان الذين خرجوا على علي

(١) سورة الحجرات آية ٩ .

(٢) سورة المائدة آية ٥٠ .

بهذه اللفظة المحترمة عند الله والملائكة وأهل البصائر من المسلمين من الإنس والجن على الحقيقة . فليتأمل أهل النظر ويحكموا العقول في هذا الشطط والمفارقة والمغالطة والفتنة العمياء والمصيبة الدهماء التي شوهت مرآة العقول وأثبتت لأهل النظر قصوراً في العلم والنهى معاً .

أهل النهروان الذين استغرقوا أوقاتهم في مصالح الآخرة حتى أدركوا بتوفيق الله عز وجل الأمن والأمان وسكون النفس في الطمع في الرضا والرضوان وانتظار الزيادة من قبل الرحيم الرحمن . أولئك الذين نظروا بنية سليمة وعلم صحيح في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وسيرة من مضى من الأفاضل الكرام البررة الأعلام . فأبصروا المعاني واستجمعوا الفكرة القويمة في صحة التأويل فكشف لهم الله تعالى الغطاء وأعطاهم سبحانه من فضله نصيباً وافراً من فهم أسرار التنزيل فأدركوا فيه غاية المقصود فهم أهل القرآن وهم أهل التوحيد والإيمان وهم الذين قال فيهم عبد الله ابن عباس حين تذاكر مع الحسن بن علي في واقعة النهروان الفظيعة فأخذ ابن عباس رضي الله عنه يؤنبه قائلاً إنكم لأحق بيت في العرب أن تتيهوا كما تاهت بنو اسرائيل . ثم قلتم بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام مجاهدهم بهما ثم جعلتم حكماً على كتاب ربكم ثم قتلتم خيار المسلمين وفقهاءهم وقد أفنوا المخ واللحم واجهدوا الجلد والعظم من العبادة وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

أهل النهروان الذين جعل الله لهم من أعدائهم شيعة (علي) أنصاراً بعضهم أبصر الحق وقبله ودخل فيه . وبعضهم ناظر علياً بلسان الحق فيما ارتكبه حتى قامت عليه الحجة بحذافيرها .

فممن أبصر الحق ذو العقيصة كان واقفا مع على حين التحمت جيوش علي بأهل النهروان عقب سهم الشر الذي بدأهم به حين أبوا عليه أمراء خيوله أن لا يحملوا على المسلمين أهل النهروان حتى يبدأهم بنفسه وكان ما كان واقتتل الفريقان من صلاة الغد إلى الأصيل فسمعه ذو العقيصة يقول والله إنكم لكنتم أصحاب الدار يوم الدار وأصحاب الجمل يوم الجمل وأصحاب صفين يوم صفين وأصحاب القرآن إذا تلي القرآن . فقال له ذو العقيصة ففيم نحن إذن ؟ فضرب فرسه ولحق بهم ثم لحقه أخر ثم تلاحق بهم من سبقت لهم من الله السعادة وعافاهم من الزلة العقيمة .

وأما من حاجه من شيعته فرجل قال له هؤلاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً قال له علي اعترافاً بفضلهم وتحسراً على ما فرط منه لجانبهم أولئك أهل التوراة والإنجيل . وقال له آخر والله ما بين الطريقين طريق إن كان أمر الحكمين هدى فقد ضللت يا علي بنقضك عهدك وبراءتك منهما وإن كان ضلالة لقد ضللت بقتلك أهل النهروان إذ نهوك عن الضلالة !!

الفتنة وآفاتها

استلفت القراء إلى الفتنة وآفاتها وهي المنبع والأصل . ومنها الافتراق والفصل . وقد جاء تنبيه الله عز وجل في أمرها حاضاً استلفات أهل البصائر من عباده ومن راح رائحة العقل والفهم إلى آفاتها العقيمة فقال وهو أصدق القائلين :

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

(١) سورة الأنفال آية ٢٥ .

وعقبه بالوعيد الشديد لمن استخف بهذا التنبيه وأهمل أخذ الاحتياط له والتحفظ من تلك الفتنة وآفاتها فقال عز من قائل :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١)

فكل شيء عظمه الله في الخير والشر فهو عظيم وهذه الآية قد استغرقت جميع المخاوف التي ينبغي أن تتقى لاشتمالها على التعريف بأن عدوى الفتنة لا تخطئ الظالم ولا المظلوم كما لا يفر منها الصالح والبار فترتقي في سيرها إذا آن أوانها إلى أقصى مراتب التأثير والفعل وكان من فضل الله على المؤمنين أن أعذر إليهم في جملة آيات في هذا الصدد وفوض استعمال النظر في أمرها إلى اجتهادهم على اختلاف درجاتهم في التوفيق والعلم حتى تكون حجة الله هي الظاهرة . فقال وهو أصدق القائلين :

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

وقوله سبحانه :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت آية ١ ــ ٢ ــ ٣ .

(٣) سورة محمد آية ٢٢ ــ ٢٣ .

وقوله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (٢)

وقد تولى رسول الله ﷺ بيان هذه النصوص بمزيد إفصاح وعظيم إيضاح حتى لايصح معها إلقاء معاذير ولا تقبل تقوّل الأقاويل ولا تنطعن في التأويل . وأما إذا كان الحمق من خليقة أهل العناد وطبيعة أهل الشقاء والإلحاد فهو أحرى بأن لا يدل على هدي ولا يرد عن الردى وصدق على الأحمق قول الشاعر :

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة ... فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وقول آخر :

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ... ضيعوا الحزم فيه أي ضياع

فمطاع المقال غير سديد ... وسديد المقال غير مطاع

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

(٢) سورة النور آية ٥٥ .

ذكر في المسند الصحيح في رواية أبي سفيان قال لما نزلت هذه الآية :

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١)

وعند النبي ﷺ وقتئذ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وعلي وعثمان . فقال أبو بكر أين أنا يومئذ يا رسول الله . قال تحت الثرى فقال عثمان : أين أنا يومئذ يا رسول الله . فقال بك تفتح وبك تنشأ ثم قال علي وأين أنا يومئذ يا رسول الله . فقال أنت إمامها وزمامها وقائدها تمشي مشي البعير في القيد : ثم قال عليه الصلاة والسلام لفتنة بعضكم على أمتي أضر عليها من فتنة الدجال . وعنه عليه السلام لضر من بعض الجلساء في نار جهنم أعظم من جبل أحد . وعنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : يثور دخانها تحت قدمي رجل يزعم أنه مني وليس مني ألا إن أولياء الله المتقون : وقوله عليه السلام والإكرام مالهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار عمار جلدة ما بين عيني وأنفي مهما أصيب المرء هناك لم يستبق . وقال لعمّار تقتلك الفئة الباغية يا عمار . وقال عليه الصلاة والسلام لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

وأول الفتنة عثمان حين نزل عن طريقة صاحبيه بعدما وقع الإجماع عليها . وزل في أربعة أمور (أولها) استعماله الخونة على دماء المسلمين وأموالهم والحكم بغير ما أنزل الله . (والثانية) ضربه الإبشار وهتكه الأستار من الصحابة الأخيار إذ أمروه بالمعروف ونهوه عن المنكر كأبي ذر وابن

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٥ .

مسعود وعمار بن ياسر وابن حنبل . رضي الله عنهم . (والثالثة) تبذيره الأموال وإسرافه فيها على غير وجوهها المألوفة شرعاً فمنعها مستحقيها وجاد بها على أقاربه وأعطى ابن الطريد مروان بن الحكم خمس إفريقية ستمئة ألف دينار تكاد تقوم بقوام نصف مساكين هذه الأمة والله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[1]

(والرابعة) في البغي في أحد الأفعال ومن شبهته التي أدخلها على السذج ومن لابصيرة له حين أشرف يوم الدار على محاصريه قال لهم أناشدكم الله ألم تسمعوا أن رسول الله ﷺ يقول : لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث خلال كفر بعد إيمان وزنى بعد إحصان وقتل النفس التي حرم الله وأنا ما زنيت ولا كفرت بعد إيمان ولا قتلت النفس . ثم هو في هذا المقام قد غفل أو تغافل عن التي نص الله عليها في القرآن حيث يقول :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2]

ولو كلفنا الإصلاح بينهما لقلنا لعثمان اعدل وللمحاصرين كفوا . وأئمة المحاصرين علي وطلحة والزبير وعمار . فإن عدل عثمان وأعطى للمسلمين ما يحبون ورجع لهم عما يكرهون وأقام حدود الله تعالى ورد المظالم وعزل الفساق الخونة واستعمل عليهم من لايتهمونهم في دينهم

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٧ .

(٢) سورة الحجرات آية ٩ .

وأموالهم وأعطى لهم الحق من نفسه أمرنا المحاصرين بالكف فإن أبوا قاتلناهم وإن أبى عثمان الدعوة إلى سبيل الحق قاتلناه فطالبهُ المسلمون أن ينخلع عن أمورهم بعد ثبوت التهمة عليه في دينهم وتماديه على الغدرة وإصراره على التمرد والعناد . فأبى فقتلوه بعلم ودين : يعني لانتهاكه الحرم الأربع الآنفة الذكر . فانتهكوا منه أيضاً الحرم لأربع حرمة الأمانة وحرمة الصحبة وحرمة الشهر الحرام وحرمة الإسلام حين انخلع من حرمة هذه الحرم . إذ لا يحفظ حرمة الإسلام باغٍ ولا الإمامة خائن ولا الشهر الحرام فاسق ولا الصحبة مرتد على عقبه قال اللهتعالى :

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[1]

وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اللهم إني قد رضيت لأمتي من رضي لها ابن أم عبد وسخطت من سخط لها » وقال عليه السلام : « عليكم بهدي عمار وبهدي ابن أم عبد » فإذا كان لهذين الرجلين الفاضلين ثقة عند أمة أحمد عليه السلام وثبت لديها هذان الحديثان لما ذهب الناس في أهل النهروان مذهب العدوان والمهاجرة وأكثرهم من أكابر الصحابة وكلهم إباضيون !! .

فعمار بن ياسر رضي الله عنه قال : أراد عثمان أن يغتال ديننا فقتلناه وعبد الله بن مسعود قتيل عثمان قال : اللهم لا تغفر لعثمان حتى ترضيني يوم القيامة . وعلي وطلحة والزبير وباقي جماعة المسلمين تمالؤوا على قتل عثمان حكماً وعلماً نصاً وتنبيهاً والمنتصر له بعد هذا البيان فقد رد النص مواجهة

---

(١) سورة التوبة آية ١٢ .

وعادى رسول الله ﷺ وأصحابه الصادقين إذ لا تجتمع أمة أحمد على ضلالة والحمد لله على الهدى وسلامة اليقين .

وأما زلة علي بن أبي طالب فإن أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار وجماعة المسلمين الذين أيدوا بيعته ونصروه في مواطن الحق وقتل منهم من قتل في تلك المشاهد وهو يعلم ويعلم البقية من الأخيار ويشهدون جميعاً أن قتلاهم عمار وأصحابه قتلوا على الحق بدليل قوله تعالى :

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]

وقوله عز وجل :

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2]

حين استزله معاوية وحلفاؤه وخدعوه في تحكيم الحكمين بعد أن كان منكراً له وحكم بكفر من قال به واستباح قتله وفاقاً للكتاب والسنة ثم رجع عن علمه ونكص على عقبه وقال من لم يرض بالحكومة فقد كفر : وقاتل من رضي الحكومة وقتله وقاتل من أنكر الحكومة وقتله . وقتل أربعة آلاف أواب من أصحابه واعتذر فقال إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم وغاب عنه قول الله عز وجل فيمن قتل مؤمناً واحداً متعمداًالوارد في التنزيل في قوله تعالى :

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٩ .

(٢) سورة الحجرات آية ٩ .

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]

وقد تعمد قتلهم بإغراء وتحريض عدو الله الأشعث بن قيس صنيع معاوية وعمرو بن العاص وأشياعهما :

حصل ذلك بعد مناظرات معنوية من أهل النهروان رضوان الله عليهم قامت فيها حجتهم الدامغة على علي وأهل حربه من جماعة صفين حتى قالوا له يا علي إن الله قطع المواعدة بين المسلمين وبين أهل حربهم إلاّ من أقر بالجزية ولم يضع الحرب والسلاح . والحكم في البغاة القتال حتى يفيئوا إلى أمر الله وأمرنا أن لا نتعدى حدود الله في حكم حكمه بنفسه وقد جاء حكم الله ناطقاً نافذاً في معاوية وجنوده حتى يتركوا ما به ضلوا ويرجعوا إلى الحق فنعوذ بالله من سوابق الشقاء ومن زلة قدم لاينفع معها ندم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الرهط الرابع

وهم أغوياء القرآن . فهم سبعة أفخاذ تحصرهم القسمة في ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار ما خلا واحدة ناجية . وتقدم بيان هذه الفرق في الرسالة الأولى وقد جاءت طرق الغواية بأساليب متنوعة في توجيهات ومنتحلات أئمتها وإحداثهم وبدعهم وضلالاتهم وتوسعوا في ذلك على مدى الأيام وتوالي الأعوام . فكلما خلت طبقة ظهرت أخرى تنافست في توسيع الأحداث والبدع ووقفت بهم نوازع النفوس على ما أرادت من اتخاذ أسباب الموانع والعثرات التي أخلوا بها شرط الاعتصام واجتماع المسلمين على كلمة

---

(١) سورة النساء آية ٩٣ .

التقوى : وأفصحوا بها صراحاً وعناداً عن مصادمة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية واتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم .

الأزراقة والصفرية والجهمية ومن وافقهم

فمن الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً : نافع بن الأزرق الذي كان منتظماً في سلك أهل الدعوة وعمر عمراً صالحاً قائماً على مقالة أهل الحق متمسكاً بدين الله القويم ولم يختلف مع المسلمين في شيء حتى سبق فيه الكتاب . فخرج عن جماعة المسلمين ومقالتهم واعتقادهم وقال باستعراض الناس والبراءة ممن خالف الحق واستحلال دمه وسبي ذريته وغنم ماله ووافقه على ذلك ناس من الناس استزلهم عن بصيرتهم وتلاحق به الصفرية والجهمية وغيرهم الذين نقضوا قولهم بفعلهم حيث زعموا أن من عمل ذنباً فهو مشرك ثم قالوا إن أهل الكتاب ليسوا بمشركين بل موحدين بقولهم لا إله إلا الله ويسعهم جهل محمد عليه السلام فأجازوا بذلك مناكحة أهل التوحيد وموارثتهم وغير ذلك من الفظائع والشنائع . والرسول ﷺ يقول لا يتوارث أهل ملتين والإباضيون قالوا لا نقول فيمن خالفنا إنه مشرك لأن معهم التوحيد والإقرار بالكتاب والرسول عليه السلام . وإنما هم كفار للنعم ومواريثهم ومناكيحهم والإقامة معهم حل ودعوة الإسلام تجمعهم لأن المسلمين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يعصون ولا تجرى عليهم أحكام المشركين فليت شعري فيمن نزلت الحدود أفي المسلمين أم في المشركين ؟ فأبطلوا الرجم والجلد والقطع كأنهم ليسوا من أمة محمد عليه السلام . بل هم الفرقة المارقة التي قال فيها رسول الله ﷺ « إن ناساً من أمتي يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فتنظر في النصل فلا ترى شيئاً وتنظر في القدح فلا ترى شيئاً

وتمارى في الفوق » . أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه : فأي الفريقين أولى بتسميته بالخوارج في اعتقاد القوم ؟ فريق الإباضية أم الفريق المذكور ؟ ومعني في اعتقاد القوم . إن الخوارج الذين خرجوا على السيد علي بن أبي طالب هم أهل النهروان فقد جنوا على أنفسهم بهذا الخروج جناية لا تغتفر . مع أنهم خرجوا عليه بعلم ودين علم الله ذلك أنه الحق فرضية ورضي عن فاعله ورضيت الملائكة والجن والناس أجمعون إلا هم .

القدرية والمرجئة

ورئيسهم واصل بن عطاء فهم الذين ناهبوا الله تعالى في خلقه ونازعوه في اسمه ولم ينظروا إليه تعالى بعين الخشية في أمر قد نهاهم عنه في كثير من مواضع التنزيل بل زاغوا عن الحق وضلوا على علم فزعموا أن أفعالهم خلق لهم لم يخلقها الله عز وجل بل لله خلق ولهم خلق بل تجاوزوا حد المخاطرة في الافتراء وقالوا لهم الخلق والأمر والنهي . بل تعدوا الحدود في الإيمان والتوحيد وجعلوا له شركاء فيما أتاهم فتعالى الله عما يشركون فحاجهم الإباضية ومن وافقهم من المسلمين بحجة الله تبارك وتعالى فيما زعموا وادعوا وشطوا وتعسفوا الواردة في التنزيل كقوله تعالى :

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[1]

وقوله عز وجل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٤ .

(٢) سورة فاطر آية ٣ .

وقوله سبحانه :

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [1]

وقوله تعالى :

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾

وقوله عز من قائل :

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [3]

وحسبهم قول رسول الله ﷺ لهم ولإخوانهم المرجئة . القدرية مجوس فن هذه الأمة لادعائهم إلهين اثنين . وفي المرجئة يهود هذه الأمة لادعائهم الخروج من النار كقول اليهود :

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [4]

وقوله عليه الصلاة والسلام : « طائفتان من أمتي لاتنالهما شفاعتي معلونتان على لسان سبعين نبياً القدرية والمرجئة » .

وأما المرجئة فزعموا أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وهو التوحيد المـأمور به وما سواه من عمل الفرائض فلا يعبأ به فحلوا عرى الإسـلام وأبطلوا فائذة الحلال والحرام ورضوا لله عز وجل بقول لا إله إلا الله ولو

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٧ .

(٢) سورة المائدة آية ١١٠ .

(٣) سورة الصافات آية ٩٦ .

(٤) سورة البقرة آية ٨٠ .

طمسوه بالذنوب والآثام وحطموا ثمرة الحكمة البالغة الواردة في قوله عز وجل :

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾[1]

فسبقهم وعيد الله قبل أن يكونوا فتسارعوا إلى فعله بعدما كانوا .

ثم قال :

﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[2] .

فرضوا بأن يكونوا كاذبين دون أن يكونوا صادقين فاستوجبوا لعنة الرسول محمد ﷺ مع سبعين نبياً قبله إذ كانوا عثرة في طريق العباد وفتروا العباد وثبطوا الناس عن عمل الطاعات وقطعوا عليهم سبيل الوعيد وأمنوهم من المخاوف والتشديد فحسبهم الله ونعم الوكيل : فأي الفريقين أولى بتسميته بالخوارج في معتقد القوم ؟ فريق الإباضية الذي ينكر هذه الضلالات أم هذا الفريق ؟

المفتتح باب الالتباس والإشكال على المسلمين

قد ابتلى الله الإسلام بكثير ممن فتح باب الالتباس والإشكال بفضول الجدل وتفريع الشبه وتشعب الالتباسات مما لايصدر في نظر أهل البصائر والفهم إلا عن ذوي الجهالة الذين يريدون بالدين السوء والفتنة .

(١) سورة العنكبوت آية ١ ــ ٢ .

(٢) سورة العنكبوت آية ٣ .

وقد ظهرت مقدمات هذه البدع في صدر الإسلام في حياة الصحابة أنفسهم الذين فهموا عن الله عز وجل معاني كتابه وعن رسول الله ﷺ معاني سنته وإليك المثال في مبادئ هاته الانتحالات التي تبرهن إما على سوء القصد وهو الأقرب وإما على فرط الجهل والعمى والضلال .

فقد حدث مسلم من جهة الأوزاعي عن قتادة أنه كتب إليه يخبره عن أنس أنه حدثه أنه قال صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لايذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لافي أول القراءة ولا في آخرها أي لا في أول الفاتحة ولا في آخرها للسورة بعدها فقام سبعة أو ثمانية من أكابر المتفقهة وخالفوا في ذلك واتفقوا على أن صحة الرواية ينبغي أن تكون فكانوا يستفتحون (بالحمد لله رب العالمين) بإسقاط الزيادة الواردة بعدها في ذلك الحديث . والمعنى أنهم كانوا يستفتحون الصلاة بعد الإحرام بهذه الصورة المسماة بهذا الاسم (الحمد لله رب العالمين) أو المعنية بهذا اللفظ ومنها بسم الله الرحمن الرحيم فالمعنى أنهم يبدؤون القرآن بأم القرآن التي من آياتها بسم الله الرحمن الرحيم : فكان من رواة هذا الحديث أنهم قصدوا التلبيس وإحداث الإشكال فنفوا البسملة وانتحلوا بقية الحديث بقولهم لايذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لافي أول القراءة ولا في آخرها إلى آخر ما أوردوه في الحديث من القول المضل المشكل الملتبس عند من لايفهم . وأما أهل البصائر فقد ردوا الشبهة بما ذكر وهو الحق الأبلج .

وأما قول أولئك المنتحلين فإنما هو الخطأ الصراح والضلال البعيد المراد به الإفساد وإلباس الدين على أهله ويدل على هذا ما صح عن أنس نفسه المزور عليه هذا الكلام أنه سئل أكان النبي ﷺ يستفتح بالحمد لله

رب العالمين أو ببسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال للسائل إنك لتسألني عن شيء ما أحفظه وما سألني عنه أحد قبلك . ومن ذلك يعلم أن جواب أنس على هذا الشكل ليس إلا إنكاراً لما سمع من السائل لأنه وباقي الصحابة ما عهدوا عن النبي ﷺ تفريقاً بين البسملة والحمد لله رب العالمين . على أن قتادة هذا السائل الموهوم قد ولد أعمى وكاتبه لم يعرفه أحد وهذا أهم في التعليل وقس على ذلك أيها القارئ بقية المسائل الإشكالية والتفاريع الالتباسية التي دخلت على دين الله منذ ذلك الصدر إلى الآن فهي التي كانت سبباً في زيغ القلوب وضلال الناس لأن الله تعالى لم يخلق الناس جميعاً على تمييز هذه الدقائق إلا الذين اصطفاهم الله تعالى بدقة المعرفة في علوم الحديث والملكة القوية في درك الأسانيد والمنقول والفهم الثاقب والحفظ الواسع والعرفان الأكمل بمراتب الرواة وضبط الرواية .

حدث ولاحرج عن مواقع آثار هذا الإشكال وأمر هذه الشبهة وحوادث أحوال هذه الغواية فلله در التنزيل وإحاطته على لطائف الاعتبارات في إيراد نعوت هذا الزيغ على أنحاء مختلفة ولله در القرآن من مستودعات في هذا الصدد لاتتضح إلا باستيراء زناد خاطر وقاد . ولاتنكشف أسرار جواهرها إلا لبصيرة ذي طبع نقاد . ولله إنذار السنة في هذه المقامات والمواطن . أما التنزيل ففيه ورد قوله تعالى :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (1)

(1) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

وقوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[1]

وقوله عز وجل :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[2]

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3]

وقوله سبحانه :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4]

---

(١) سورة النساء آية ٢٦ ـــ ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

(٣) سورة المائدة آية ٧٧ .

(٤) سورة آل عمران آية ٧ .

وقوله :

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[1] .

وأما السنة فقول الرسول ﷺ : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » الباب التاسع والأربعون من كتاب المواقيت صحيح الترمذي . وقال عليه الصلاة والسلام : « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق بالقرآن » الباب الرابع والعشرون من كتاب الحدود في صحيح الترمذي وأمثالها كثير لم يسمح المقام بها سرداً واستقصاءً .

وناهيك من بدع والتباسات اقترحوها على الدين وأبدوها لأبصار من لا بصيرة لهم في معارض ركيكة فارقوا فيها بين اللفظ والمعنى بل تجاوزوا بها حد الفضول . أساء عليهم فيها أثر الخبث وسوء البطانة التي سكنت إليها نفوسهم وزين لها الشيطان هذه المغالطة القولية الخرقاء . والشبهة الفظيعة الزرقاء . أنها إنما هي من شرف مواهب الذكاء وسعة العلم . وانتعشوا بهذا الشرف مفصحين عن الإلحاد والخلاف . والكفر والاختلاف حتى استشف المسلمون من مقصدهم هذه الغواية والزيغ وأشفقوا على العامة ومن لابصيرة لهم أن تتأدى تلك الشبهات إلى أفهامهم وتتقبله عقولهم الضعيفة وتصبوا لقبولها طباع الضالين وترفع لها حجبها أسماع المارقين . فقام الإباضيون ومن وافقهم وحاربوا تلك الشبهات . وطاردوا الضلالات . وأوضحوا الحق وأبانوا الدليل . وبينوا السبيل . وكشفوا للناس ما التبس عليهم من مذاهب تلك الاقتراحات . والانتحالات . وأقاموا الدليل على ما

(١) سورة آل عمران آية ١٧٩ .

هو الهدى . ولن يهتدي السواد الأعظم من الذين سرت فيهم عدوى تلك الشبهة . فترى القوم قد ذهبوا إلى مذاهب شتى بين إبرام تلك الشبهة وبين نقضها فمنهم من يصلي ولا يستفتح بالبسملة تقليداً لمفتتح باب الشبهة المذكور . ومنهم من يسرها في مقام الجهر ثم يقرأ الفاتحة . كل ذلك مما ناضلت عنه الإباضية وكتبهم مفعومة من هذه الأمثلة والصور بالقول الشافي والحجة الدامغة فأي الفريقين أولى بتسميته بالخوارج في معتقد القوم ؟ فريق الإباضية الذي حارب البدعة أم الفريق المبتدع في الدين المدخل اللبس على الإسلام والمسلمين ؟

السنيون والأشعريون

أما الأشعريون فينتهون في السند والنسبة إلى أبي موسى الأشعري الذي ثبت عنه أنه كان يثبط المسلمين عن الخروج مع الإمام علي بن أبي طالب لجهاد البغاة الذين ضلوا بالذي انتحلوه من أسباب الخروج على حكم الله تعالى مع ذلك قد مضى فيهم بالذي عرفه الناس من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وما كفاه ذلك حتى نقض بيعته وعزله من منصب الإمامة على المنبر . وحسبك وسيلتهم من الأئمة البعديين كأبي الحسن الأشعري الذي ثبت إماماً وسطاً بعد هدنة الشغب واضطراب فتنة التفرقة والأفراق . ثم أبو بكر بن الطيب وهو الباقلاني . ثم الزهري وهو الذي صار وزيراً لأرذل ملوك هذه الأمة وهو الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو أول من افتتح للعلماء أبواب الأمراء الجورة وأجاز مخالطتهم ومؤآنستهم طمعاً في عطاياهم وتجوّز بهم حدود التساهل في الرخص فعبروها إلى المعاصي وارتكاب الآثام ومبارزة الملك العلام وهكذا تسلسل أمر المتفقهة من الأشعريين والسنيين في

هذا الاقتراح والافتتاح تسويغاً للزهري واستئثاراً بالعرض الزائل وصارت عطايا الملوك رشوة لحكم يرضيهم أو فتوى تطغيهم بعد أن كانت حقاً واجباً للعلماء وأمثالهم من أرباب الحقوق والعطايا . وهذا كله لايذكر في جنب أحداثهم وضلالاتهم وغفلتهم وغباوتهم وتلاعبهم بالدين والأضرار التي أدخلوها على الإسلام والمسلمين .

هذان الفريقان الأشعريون والسنيون من الأفخاذ السبعة التي توزعتهم القسمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهن إلى النار ما خلا فرقة واحدة ناجية كما تقدم وتكرر فهما على ما زعما أنهما قد تحريا السلامة في طريق اجتهادهما في الدين . وهما قد استقيا من مذاهب المرجئة وارتويا من جداول مائها الراكد العفن . على أنهما يبغضان تلك المذاهب وينكرانها أشد الإنكار فتراهما قد وافقا المرجئين في أهم النقاط وأحرجها نصاً وتنبيهاً . فقد سوغوا جميعاً

﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]

وقليل منهم ما هم سوَّغه المرجئون في عذاب الله عز وجل ووعيده من الكذب بعد ورود النص الصريح في قوله عز وجل :

﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[2]

قالوا ذهب الوعيد في ساحة كرم الوعد .

فقلنا لهم نحن الإباضيون يا قوم اتقوا الله واصرفوا النظر الصحيح يتثبت من معاني كلام الله عز وجل ولا تتماوجوا بفصاحتكم في القرآن

(١) سورة يوسف ٥٣ .

(٢) سورة ق ٢٨ ــ ٢٩ .

العزيز بخطأ التأويل وتحريف المعاني حتى لايصدق عليكم قول الله الحكيم :

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(1) ولا تكونوا كالحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(2)

وحسبكم قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(3)

فلم يقتنعوا بل أخرجوا العاصي من النار وأرضوا ربهم بلا إله إلا الله محمد رسول الله : وما كفاهم ذلك حتى بنوا مذاهبهم في الباري سبحانه وصفاته وأسمائه وتشبيهه بخلقه على الهروب من الواضح إلى المشكل وناهبوا العرب في لغتهم ونازعوهم في لسانهم وقالوا هذه أشياء مختلفة المعاني متغايرة الأوصاف يجوز على بعضها مالايجوز على بعض فليس ينبغي أن تكون كلها معنى واحداً ؟ زعموا فضلوا وضاهؤا بذلك قول اليعقوبية من النصارى حين زعموا أن الله عز وجل ثلاثة أقانيم ذات جوهر واحد . وكذلك الناكثة حين سمعت بذكر الصفة والصفات أو الاسم والأسماء فقالوا ليس ها هنا بد من عددٍ والعدد عن الله منفى . فقالوا لهذه العلة أن الصفة والصفات والإسم والأسماء هو ما يوجد من وصف الواصفين وتسمية المسمين فغلط الفريقان بهذا الاعتبار وزاغوا عن الصواب . فقلنا لهم نحن الإباضيون اتقوا الله يا قوم واعلموا أن الله تبارك وتعالى لم يفرد نفسه بلغة غير لغتنا التي استعملناها بيننا فلا يلزمنا أن نطلق على الباري سبحانه ما لم يأذن به الشرع أو معنى يحيله

(1) سورة البقرة اية ٨١ .

(2) سورة الجمعة آية ٥ .

(3) سورة فصلت آية ٢٣ .

العقل لاتفاقنا نحن وأنتم على أن الله عز وجل :

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١)

فالاعتبار في الإفراد والجمع والتأنيث والتذكير إنما يقع على الوصف والتسمية . لا على الاسم والصفة . لأن أسماء الأشياء مأخوذة من صفاتها وليست الصفات مأخوذة من الأسماء . لأن الوصف منسوب إلينا وهو من أفعالنا والصفة منسوبة إلى ذات الباري سبحانه إذ لاتجري التجزئة عليه يتعالى عن ذلك علواً كبيراً . فتشاكسوا وأصروا وأثبتوا سائر الصفات أنها معانٍ وأنها أغيار لله تعالى وأنها معانٍ غير الله وهي قديمة . فقلنا لهم نحن الإباضيون يا قوم اتقوا الله . فليس هناك معنى غيرالله ولا قديم مع الله . فلم يستكينوا لهذا القول واعتمدوا على ما عندهم من مواهب الحذق وهي النعمة الاستدراجية الممقوتة وظلوا يتفننون في أساليب الجدل وأعدوا لكل سؤال جواباً حتى التجؤا إلى جرف هارٍ أهوت بهم الريح في مكان سحيق !!

ذهبت بهم خصلتان إحداهما في اللغة . والثانية في الاعتقاد .

فأما التي في اللغة فإنهم نظروا إلى تقاسيم الأسماء والأفعال والحروف فكل لفظة تقتضي معنى في الأجسام وحركاتها فانقسمت أقساماً كثيرة من أجل الأجسام والأزمان والأمكنة فتجارؤوا بهذا المذهب على خالقهم عز وجل ونظروا إلى قولهم علماً ويعلم وسيعلم علماً وعلاماً وعليماً وقالوا لابد لهذه التقسيمات من معانٍ متفاوتة حتماً واضطرهم الدليل المثبت الألوهية إلى أن يقولوا بقدمها ونسوا ما ذكروا به من قبل أن الله ليس كمثله

---

(١) سورة الشورى آية ١١

شيء فشبهوا الذات التي لاتتجزأ ولا تحلها الأعراض بالأجسام التي تتجزأ وتحلها الأعراض . ولم ينظروا بين الحقيقة إلى من هو فوق المكان والزمان وخالق الأجسام والأجرام ولم يشبه شيئاً من الأعيان .

(والخصلة الثانية) أنهم آمنوا بالوحدانية لفظاً وأغفلوها بالمعنى حفظاً وذهلوا عن قول الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك . فما كان منهم إلا أن جاحشوا وقالوا العجز عن درك الإدراك هلاك ورغبوا في الكثرة والعدد في توحيد الله عز وجل . فأرادوا أن يمدحوه فملؤوا عليه الأزل قدماً . ونخشى أن يخلف فيهم خلف ينتحل للباري عز وجل حاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس باعتبار رغبتهم في كثرة المعاني ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

* * * * *

* * *

وما كفاهم ذلك حتى هدموا قواعد الإسلام وصادموا المنصوص تفلسفاً وحذلقة . ذلك لأنهم اختلفوا في أسماء الشريعة من مؤمن ومسلم وكافر وفاسق ومشرك ومنافق فبدعهم في هذا الاختلاف متنوعة متفرقة وكلها تشرع هدم قواعد الإسلام . وتخالف بمعناها تحقيقات أهل البصائر الأعلام . فعند الإباضية ومن وافقهم من أهل النظر الموفقين أن الناس ثلاثة مؤمن . مقر بالله العظيم موف بدينه وهو المؤمن المسلم الذي وجبت له الولاية قلباً وقالباً الجائز شهادته وغيرها من أقواله .

ومنافق مقر بالله العظيم مضيع لأركان الدين غير موف بعهد الجملة التي أقر بها فهو المنافق الكافر كفر نفاق العاصي الذي وجبت له البراءة قلباً وقالباً ولكنه بإقراره هذا قد درأ عن نفسه القتل وسبي ذريته وغنم أمواله من أحكام المشركين ودخل في أحكام الموحدين من جواز مناكحته وموارثته ودفنه في مقابر المسلمين وغير ذلك من حقوق أهل التوحيد .

وجاحد لله أو مساو له بخلقه وهو المشرك الجائز قتله وسبي ذريته وغنم أمواله المحرمة ذبائحه ومناكحته وموارثته ودفنه في مقابر أهل التوحيد وغير ذلك من الأحكام وقد جاء النص في هذه الأصناف الثلاثة صريحاً لايقبل التأوبل ولا التفلسف قال الله تعالى :

﴿ لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(١)

ومذهب الأشاعرة والسنيين ومن وافقهم أن لا منزلة بين المنزلتين وأن المقر بالجملة المضيع للعمل يسمى عندهم مؤمناً مسلماً عاصياً مذنباً

(١) سورة الأحزاب آية ٧٣ .

أمره لله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه .

قلنا لهم يا هؤلاء على رسلكم إن لم تقف بكم البصيرة على حدود إشارات التنزيل فليقف بكم النظر على تصريحات السنة قال الثقة الأمين رسول رب العالمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه « أربع من كن فيه أو واحدة منهن فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وإذا خاصم فجر »الباب العشرون من كتاب الإيمان في سنن النسائي . وقوله ﷺ : « ليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة »الحديث رقم ١٣٤ من كتاب الإيمان في صحيح مسلم . وقوله : « للسائل عن الحج لو قلت نعم لوجب ولو وجب لم تفعلوا ولو لم تفعلوا لكفرتم » وقوله عليه السلام : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الباب الثاني من كتاب الفتن في سنن ابن ماجه . « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » الباب الثاني والأربعون من كتاب الأشربة في سنن النسائي . « ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » صفحة ٨ من الجزء السادس من مسند ابن حنبل . وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « ليس المؤمن من بات شبعاناً وجاره جائع » وقوله : « ليس منا من غشنا » فثبت عندنا بهذه النصوص والأحاديث أن مرتكب الكبيرة المضيع للفريضة الغاش الخائن المخلف وعده الفاجر في مخاصمته منافق كافر كفر نفاق موحد بريء من الشرك والإيمان موسوم بالكفر والنفاق والعصيان كما قال تعالى :

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾(١)

---

(١) سورة النساء آية ١٤٣ .

لا إلى المسلمين في الاسم والثواب . ولا إلى المشركين في الحكم والسيرة وكما قال تعالى :

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾[1]

فنفاهم أن يكونوا من المؤمنين في التسمية بالإيمان والمودة في الدين وعن أن يكونوا من المشركين في التسمية بالشرك وفي أحكامه . كما قال تبارك وتعالى :

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾[2]

يعني يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فتظاهروا بالإسلام تقية . فثبت بهذه النصوص والأحاديث أن المنافق كافر كفر نعمة وله منزلة بين المؤمن والمشرك . فالكفر عندنا قسمان كفر شرك . وكفر نفاق . فالأول كمن أشرك بالله غيره في نحو العبادة أو أنكره وجحده والثاني ككفر الزاني والسارق ولاينعكس وكل منافق كافر ولا ينعكس وفي كتب الفقه أوسع من ذلك لضيق المقام وقد يتضح للمتأمل بنظر البصيرة أن الاسم لايصاغ من الوصف لمن قام به ذلك الوصف إلا إذا تكرر منه مراراً إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولذلك قال الفاروق رضي الله عنه وأرضاه من رأينا منه خيراً وظننا به خيراً أحببناه وتوليناه عليه . ومن رأينا منه شراً وظننا به شراً تبرأنا منه وأبغضناه عليه . وفي هذا القدر كفاية .

---

(١) سورة النساء آية ١٤٣ .

(٢) سورة التوبة ٥٦ .

وما كفاهم هذا التشبط والتخبط حتى قالوا بأن القرآن غير مخلوق ولا محدث : ولنا عليهم أدلة كثيرة أعظمها استدلالنا على خلقه بالأدلة الدالة على خلقنا نحن بني البشر . فإن أبوا من خلق القرآن . أبينا لهم من خلقهم بعد أن وصفه الله عز وجل في كتابه العزيز وجعله قرآنا عربياً مجعولاً منزلاً مسموعاً بالآذان مقروءاً بالألسن مكتوباً في المصاحف وفي قلوب الذين أوتوا العلم فكلما قامت عليهم حجتنا . قالوا صدقتم غير أن ذلك يتوجه إلى العبارة عن القرآن لانفس القرآن . قلنا لهم بعد قوله عز وجل :

﴿ لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1]

فمن يشهد لكم بهذا بعد أن رددتم شهادة الله عز وجل وشهادة ملائكته فيا سبحان الله في كل أعجوبة من عجائب الكونيات ويا سخط الله أنزل على قوم عولوا على تنطسهم وتفلسفهم حتى أنكروا نزول القرآن مثل أهل الأوثان وكادوا أن يعرضوا بمثل ما هم فيه بمحمد ﷺ وإنما نزل بالعبارة وبجبريل الروح الأمين إنه لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ وإنما نزل بالعبارة لا القرآن وخيال جبريل هو الذي نزل على خيال محمد عليهما السلام ولم ينزل علينا نحن أيضاً القرآن وإنما نزل على خيالنا وقوله عز وجل :

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ ﴾[2]

(١) سورة النساء آية ١٦٦ .

(٢) سورة الأنعام آية ٦٦ .

وإن القوم ما كذبوا بالقرآن وإنما كذب خيالهم لا لعبارة وهو الحق فليس القرآن في نفسه بحق وإنما العبارة عنه هي الحق فمن كانت هذه صفتهم فليسوا بالعقلاء الذين يخاطب الله عز وجل أمثالهم وبالجملة وحاصل القول إنهم تعسفوا في الرؤية والشفاعة وأمثالهما كما تعسفوا في الأصول المتنوعة التي يضيق علينا سردها ونقضها عليهم بالدليل والبرهان كما نقضنا عليهم معظم انتحالاتهم . فالموفق يطلبها في الكتب ومن أبوابها . فيجد ما يشفي العليل إن شاء الله تعالى .

تنبيه

فليعلم الناس أهل الخلاف أن النقطة المهمة التي دار عليها محور الخلاف والتفرقة وبلغت بالأمة مبلغ الفشل والفساد . والإلحاد والعناد . وضياع العلم الصحيح وعدم الاهتداء إلى الدين النقي : إنما كانت في جهل الولاية والبراءة والوقوف ولو أن العلماء وأئمة الفرق أخذوا الأشياء تقييداً واقتبسوها من أصولها واستعانوا بالله على مأخوذهم وأخلصوا النية في الاجتهاد والتحري لعلموا أن التدين بشريعة المسلمين وإقامة المجتمع المدني الديني على قواعد العمران الحقيقة إنما كان في الخصال الثلاثة الولاية والبراءة والوقوف . وإن الله تبارك وتعالى تعبدنا بهذه الأحكام بما ظهر منا بيننا البين دون ما غاب عنا . وهي المعاملات الظاهرية فالمشهور بالخير المذكور بخير . تجب ولايته شرعاً . والمشهور بالشر المذكور بشر تجب البراءة منه شرعاً والذي لايعلم منه خير ولا شر يجب الوقوف فيه حتى تعلم له حاله من الحالتين ودليل الولاية من كتاب الله عز وجل في قوله تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(1)

وقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(2) .

فأمره تعالى لعباده بالتعاون أصل الولاية وهي الموافقة في الشريعة واحترام أوامرها بالوفاء ورأس الأوامر التعاون على البر والتقوى . فمن لم يوف بدين الله تعالى لم تجب له الولاية . ومعنى الولاية الميل بالقلب والتودد بالجوارح لمطيع لطاعته . ودليل البراءة من كتاب الله عز وجل في قوله تعالى :

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ ﴾(3)

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾(4)

---

(1) سورة التوبة آية ٧١ .

(2) سورة المائدة آية ٢ .

(3) سورة آل عمران آية ٢٨ .

(4) سورة هود آية ١١٣ .

فمن تولى مشركاً كان مشركاً مثله . ومن تولى كافراً كان كافراً مثله . ومن تولى منافقاً كان منافقاً مثله . ومن تولى صاحب كبيرة كان صاحب كبيرة . قال الله عز وجل :

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ (١)

ومعني البراءة الميل بالقلب عن عاص لعصيانه ودليل الوقوف من كتاب الله عز وجل قوله تعالى :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (٢)

بأن تقول رأيت ولم تر أو علمت ولم تعلم فالنهي عن القول بغير علم يستلزم الأمر بالإمساك عنه حتى يعلم وقوله تبارك وتعالى :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣)

أي فتثبتوا والله تعالى أعلم .

فهذه الوجوه الثلاثة من أهم ما تنعقد عليه شرائط النظام المدني الديني والاجتماع الإسلامي . وقد جهل علماء الفرق خصوصاً السنيون والأشعريون منهم هذه الأحكام الواسعة الأرجاء وهذا ما أفضى بهم إلى

---

(١) سورة المائدة آية ٥١ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣٦ .

(٣) سورة الحجرات آية ٦ .

الحيرة وعدم الاجتماع على التساوي في القصد والقلوب على المودة والتعاضد والتظافر ولكن ماذا تكون الحال وقد جف القلم عن ذلك إلاّ من رحم ربي وأبصر الحق فاتبعه وأبصر الفضل فشكره قل إن الهدى هدى الله لاحول ولا قوة إلا بالله .

فمن أراد أن يقف على تفصيلات الأحكام التي جاءت في هذه وجوه الثلاثة فليطلبها في مراشد التقية (أو في سرد الحجة على أهل الغفلة) أو في غيرها من كتب الإباضية التي لاتحصى ولاتنحصر .

وإذ آن الأوان على تعريف سي أحمد علي الشاذلي الأزهري صاحب مجلة الإسلام الساكن حارة النصارى المدووش بصلصلة الأجراس المشوش عليه رنين النواقيس بنسبة السنيين وما أدراك ما السنيون الذين افتخر بهم وهرول في مجالهم وتمدح بصحة أخذهم فنقول :

اعلم يا شيخ عبره أن السنية في التواريخ اسم لأعداء الإمام علي بن أبي طالب لأنهم لما عقدوا الإمامة لخصمه وعزلوه نصبوا في جميع الآفاق منابر فسبوه عليها في خطبتهم للجمعة في كل جمعة ونسبوا إليه كل قبيح ولعنوه وادعوا أن سبه سنة وأنهم أهل سنة بذلك . قال المسعودي وهو من المؤرخين عندكم قال إن أصحاب معاوية ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير ويلعنه على المنابر انتهى . وقال الحاكم وإنما غلب عليهم اسم السنية لأن معاوية لما أمر بلعن علي ابن أبي طالب زعم أنه سنة فاستحق هذا الاسم كل من يرى إمامة معاوية حتى قتل علي واستقر الأمر لمعاوية وانقاد إليه الجمع فزادوا اسم الجماعة على السنة فتسموا بهما انتهى . قال الشيخ الفاضل العلامة النحرير الشيخ محمد ابن علي بن محمد المنذري في رسالته المسماة بالصراط المستقيم وإنما تركوا

ذلك الآن لأن عمر بن عبد العزيز كان رجلاً مائلاً إلى مذهب المصوبين لإمامه علي المانعين من نكثها وأحسب أني وجدت في بعض الكتب أنه كان دعى من كان في زمانه من الإباضية إليه فعاهدهم على أن يغير كل يوم منكراً من مناكر هؤلاء السنية فحينئذ أنكر عليهم شيئاً بعد شيء حتى أنكر عليهم لأنه لم يكن أحد في تلك الأزمنة ينكر عليهم مناكرهم إلا الإباضية لعنهم لعلي فكفوا عنه خوفاً منه لعلمهم بخلافه لمذهبهم ذلك ولقوة سلطانه عليهم . فبقوا إلى الآن في أحكامهم عنه مائلين . وإن ادعوا السكوت عنه فلا يقدرون عليه ثبوتاً بل يتبعونه بما يؤذن أنهم لخلافه معتقدون . وكأن سكوتهم كان نوعاً من التقية ويشهرون عليه ما هم كانوا عليه من سب الإمام علي وجه الدعوى على غيرهم حتى لايكون منسياً انتهى بحروفه .

قلنا وحين تقادم العهد على هذه الحركة زعم الخلف أن السنة والجماعة إنما هما لأهل الكتاب والسنة والإجماع المجمعين على أربعة المذاهب وإنهم إنما هم أهل الاعتقاد الصحيح والدين النقي ومن خالفهم في ذلك فقد شذ عن أهل السنة والجماعة المارق من صفقتهم !!!

فماذا تقول يا شيخ عبره بعد أن تبين لك الدليل على فساد نسبتك وقامت حجة الله تعالى وحجة رسول الله ﷺ على أن الاثنتين والسبعين فرقة هالكة في النار إلا فرقة أهل الحق . فاطلب يا شيخ عبره أهل الحق من أفعالهم وأقوالهم وصحة مباديهم واتفاقهم وشهرتهم بالخير تجدهم متوزعين في الشرق والغرب باهتين من هرولتك وحيرتك وموقفك بين الأرجاس والأجراس والصلبان وحلفاء الشيطان والظلمة والنيران وسوء العقبى والخسران يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

أما نحن يا شيخ أحمد يا علي

فقد أخذنا ديننا تقييداً عن كتاب الله عز وجل وتقليداً لنبيه محمد ﷺ . واستبصاراً برأي المسلمين . الأبرار . المتقين الذين شاهدوا الوحي ونقلوه إلينا طبقة بعد طبقة . وجيلاً بعد جيل . لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حميد مجيد : وإليك المجمل من عقيدتنا حتى لاترتاب ولا تشك في صحة دعوانا من دين ربنا .

عقيدة المسلمين

نبدأ بذكر الله العظيم ونحمد الله تعالى على نعمة الإسلام ونستعين الله على أداء فرائضه واحترام أوامره ونحن إن شاء الله تعالى أصحاب الآثار بتوفيق الله الحليم الغفار .

انتقل إلينا دين الله القويم عن ثلاثة من خلق الله أجمعين . الملائكة . والأنبياء . والمسلمين . جبريل وميكائيل واسرافيل واللوح المحفوظ من الملائكة . ومن الأنبياء ثمانية عشر وذلك قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

(١) سورة الأنعام آية ٦٦ .

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ (١)

يعني يا محمد فاقتدينا نحن به كاقتدائه بالنبيين صلوات الله عليهم أجمعين : ومن المسلمين ثلاثون رجلاً وامرأة . عبد الله بن العباس رحمه الله ابن عبد المطلب . وعائشة ام المؤمنين بنت أبي بكر الصديق وجماعة من الصحابة الكرام وجابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم وعبد الرحمن بن رستم الفارسي والباقي من نفوسة بإقليم طرابلس الغرب بجمعهم وترتيب النسبة المستقلة بهم فمن أراد الوقوف على مشايخ أهل الدعوة وترتيب طبقاتهم في السند فليطلبها منا .

مجمل عقيدة المسلمين

ندين والحمد لله بمعرفة الله الجليل العظيم . الودود الرحيم . وبأنه تعالى لايماثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أقواله ولا في أفعاله ولا في شيء من كمالاته التي لاتحصى ولا تستقصى وبأنه تعالى لاتدركه الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . وبأنه تعالى لم يزل عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن . وأنه تعالى لاتبدو له البدوات في شيء ما . وأنه تعالى خالق وما سواه مخلوق . وقادر وما سواه مقدور عليه . وبأنه تعالى يحيي كل حي ويميت كل ميت . وأنه تعالى منشئ النشأة الآخرة ومالك الدنيا والآخرة . وبأنه تعالى منجز وعده ووعيده . وبأنه لامعقب لحكمه ولامبدل لكلماته . وبأننا نشهد أن لا إله إلا هو وحده لاشريك له .

(١) سورة الأنعام آية ٨٣ ــ ٩٠ .

وبأن محمداً ﷺ عبده ورسوله . وبأن كل ما جاء به حق من عند ربه . وبأنه قد بلغ كل ما أمره تعالى بتبليغه . وبأنه قد نصح أمته . وبأنه جاهد في سبيل ربه حتى قبضه إلى دار كرامته ﷺ وبارك عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين . وبأننا نشهد أن الموت حق . وأن البعث حق وأن الحساب حق . وأن العقاب حق . وأن الجنة حق . وأن النار حق . وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأنها حق . وأن أمر الله عز وجل حق . ونهيه حق . وأن جميع ما قدره من خير وشر ونفع وضر وحلو ومر حق . وبامتثال كل ما أمر الله تعالى به وأوجبه علينا من إقامة الصلاة في أوقاتها المقدرة لها في محالها وبأداء الزكاة إلى مستحقيها عند وجوبها وبصيام شهر رمضان بشروطه المقدرة في محلها وبحج مستطيعنا البيت الحرام بسائر شعائره ومناسكه المعلومة وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر الطاقة وبصلة الأرحام وبر الوالدين ولو كانا فاجرين وبحق الجار وابن السبيل وبإقراء الضيف النازل علينا وبجيمع حقوق الله تعالى علينا من نحو الوضوء والغسل من الجنابة والطهارة من النجاسات واجتناب جميع المحرمات من نحو الزنا ومقدماته و أكل أموال الناس بالباطل وعقوق الوالدين وشرب الخمر وما في معناها وقذف المحصنات وبالوقوف عن جميع الشبهات وبولاية الخاص من الناس الموفى بجميع الدين . وبولاية رسول الله ﷺ وجميع أصحابه غير المبدلين المغيرين لشيء من دين الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ؟ وبولاية أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح وأبي ذر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وسلمان الفارسي وأبي بن كعب وعبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن صفوان وخزيمة ذي الشهادتين وحرقوس بن زهير السعدي وأويس القرني وزيد بن حصين وعمار بن ياسر وبلال بن حمامة وصهيب وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهم من

أصحابه الكرام ﷺ القائمين بأمر الله وطاعته إلى أن ماتوا رضي الله تعالى عنهم وجزاهم مولانا عنا وعن الإسلام خيراً . وبولاية أئمتنا كجابر بن زيد وأبي بلال مرداس بن حدير وأخيه عروة . وبولاية أهل النهروان وأهل النُخيلة رحمهم الله تعالى وأرضاهم وبولاية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأبي مدود حاجب الطائي وصحار العبدي وجعفر بن السماك العبدي وعبد الله بن إباض وسالم الهلالي وعبد الله بن يحيى الكندي وأبي حمزة المختار بن عوف الكندي والجزولي بن الحصين وأبرهة بن عبد الرحمن وبلج بن عقبة وأبي نوح، صالح الدهان والربيع بن حبيب ووائل بن أيوب وغيرهم من الثقات الأمناء على الشريعة المفروزين من الألوف ممن تركنا التصريح بهم من الأعلام خوفاً من الإطالة رحمهم الله جميعاً وسلك بنا آثارهم بمحض اليقين : وندين باستتابة المتولى المقارف للكبيرة والمرتد من ردته وبالوقوف فيمن لم نعلم حاله حتى نعلمه وبالبراءة من جميع أعداء الله تعالى من الأولين والآخرين ومن الخاص من الناس غير الموفي بالدين ولو بالإصرار على الصغيرة وبالبراءة ممن تبرأ منه أئمتنا من الأئمة المشهورين في الشر وأتباعهم ومن الشاك في دين الله عز وجل وممن دان بطاعة الجبابرة والشاك في الوعد والوعيد وممن دان برؤية الباري جل وعلا عن ذلك علواً كبيراً وممن دان بالخروج من النار وممن قال الإيمان قولاً بلا عمل وممن زعم أن أهل القبلة كلهم في الولاية وممن زعم أن أهل الكبائر مشركون وممن زعم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أفعال العباد ومن الزاعمين أنهم مجبورون عليها ومن كل من خالف المسلمين . وندين بأن داخل الجنة مخلد فيها وداخل النار مخلد فيها وبأن الجنة والنار لا آخر لهما في النعيم والعذاب وندين بأنه لامنزلة بين الإيمان والشرك إلا النفاق . وندين بأن المنافقين ليسوا بمشركين ولا مؤمنين بل هم موحدون مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . ولأن الله تعالى

يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ولا تغفر الكبائر إلا بالتوبة والاعتراف والرجوع عنها وندين بأن جميع ما أمر الله به إيمان وبأن جميع ما نهى عنه كفر . وبأن الله تعالى خالق لوحيه وتنزيله وبأن أسماءه وصفاته هي هو لاغيره . وندين بتكفير المرأة الفاسقة الزانينة فيما دون الفرج وندين بقتال أئمة الكفر . وبحفظ الفرج وترك جميع المنكر وندين بتصويب أهل النهروان الذين رفضوا الحكومة على علي بن أبي طالب والبراءة ممن قتلهم . وندين بأن الله تعالى لايظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون وندين بالتقرب إلى الله عز وجل بأداء فرائضه واجتناب محارمه وأداء كل مظلمة لصاحبها وحفظ كل أمانة وأدائها إلى صاحبها . وندين بجميع العقائد الدينية التي مضى عليها أصحابنا رحمهم الله فهذا ديننا فمن قبله وعمل به فهو أخونا في الله تعالى وولينا وله مالنا وعليه ما علينا ومن طعن فيه وفي أهله فحسبه الله . وعدل الآخرة هو الحكم الفصل والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل متشدق مثل الشيخ عبرة لم قضيتم أن أوائلكم على الهدى وأوائل غيركم على الردى وأوائلكم غير معصومين كأوائل غيركم ؟ قلنا له وبالله التوفيق إنا قد اتبعنا أوائلنا وحاسبناهم وتبعناهم تقييداً لا تقليداً لأنهم عولوا على الوزن بالقسطاس المستقيم والبرهان القويم وهو الاجتهاد والنظر في معاني كتاب الله والسنة ورأي المسلمين . فرأوا أنه لم تفترق فرقة بعد رسول الله ﷺ إلا كان أوائلنا في أفضلها حتى انتهى الأمر إلينا وأول ذلك أن المسلمين اختلفوا بعد رسول الله ﷺ فأجمعوا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فخالفت الشيعة وكنا مع المهاجرين والأنصار وكانت مع حزب الشيطان الرجيم . وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في حزب أبي بكر الصديق فوقعنا في حزب الذين بعد رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وأهل الشورى .

ثم ولي عثمان بعد الإمامين فاختلف عليه أصحاب رسول الله ﷺ فجل المهاجرين والأنصار عليه لاله إلا ما كان من زيد بن ثابت وعبد الله بن سلام والمتوقفون عبد الله بن عمر وسعد ابن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وباقي المهاجرين والأنصار عليه لاله والإمام عمار بن ياسر رضي الله عنه لما جعله رسول الله ﷺ علامة للفتنة إذ قال عليه السلام : « ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار إنما عمار جلدة ما بين أنفي وعيني مهما أصيب المرء هناك لم يستبق » الباب الثاني والستين من كتاب الصلاة في صحيح البخاري وفي الباب السابع عشر من كتاب الجهاد في صحيح البخـاري . وقوله ﷺ لعمار : « إنما تقتلك الفئة الباغية » الباب الثاني والستـين من كتاب الصـلاة في صحيح البخاري والحديث رقم ٧٠ من كتاب الفتن في صحيح مسلم . وقوله صلوات الله عليه : « عليكم بهدي عمار وبهدي ابن أم عبد » ثم أطبق أهل الشورى من المهاجرين والأنصار على علي وكنا معهم فخرج عنه طلحة والزبير فنكثا الصفقة ومعهما عائشة أم المؤمنين التائبة فحصلنا بحمد الله مع الجمهور : ثم خالف معاوية وعمرو ابن العاص بالشام وليس معهما من المهاجرين والأنصار مقهور ولا مذكور فحصلنا مع علي وعمار ومع المهاجرين والأنصار . ثم إن علياً رجع على عقبيه ورضي بالحكومة التي كفر راضيها وصوب ساخطها فقتل الفريقين جميعاً الراضي والساخط والمحق والمبطل وكنا على الأصل الأول الذي فارقنا عليه أبا ذر وابن معسود وعمار بن ياسر الذي جعله رسول الله ﷺ علماً للفتنة حين قال عمار تقتله الفئة الباغية فأثبته على الهدى عند الاختلاف وحـين قال عليكـم بهدي عمـار وبهدي ابن أم عبد وقال مالهم ولعمـار يدعوهم إلى الجنـة ويدعونه إلى النار فوقعنا بحمد الله في حزب المفلحين الفائزين : فإن كان الجميع على الحق فنحن أولى ولانعمت عين المعاندين

الملحدين . وإن كانوا على باطل سلمنا إذ لا تجتمع أمة أحمد ﷺ على ضلال .

وأما تسمية مذهبنا بالإباضية فلكون عبد الله بن إباض رضي الله عنه كان المجاهد علنا المناضل علنا في سبيل تحقيق الحقائق وتصحيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع من الزور والافتراء في شريعة ربنا وكان شديداً في الله تعالى وله مناظرات مع أهل التنطس والتفلسف كانت الحجة الدامغة التي يخنس أمامها كل ثرثار وله كلام مع عبد الملك بن مروان يهضم نفس كل جائر جبار فغلب على المسلمين أصحابه الذين يقولون بقوله بالإباضية وتسمى المذهب باسمه على هذا المعنى : وإنما الإمام القائد الوسيلة الراشد أُسُّ المذهب وحاميه . مرجع الفضل في تدوينه وتشييد مبانيه . إنما كان جابر بن زيد رضي الله عنه : وعبد الله بن إباض كان صنوه وتلوه وكان لايصدر في النوازل إلا عن رأيه ونظره وبعد وفاة جابر بن زيد ظهر عبد الله بن أباض بأجلى مظاهر الغيرة الدينية ولقن أصحابه مبدأ الإقدام في تقرير الحق وقمع أهل الجور والظلم المنحرفين عن جادة الصواب حتى ظهرت هذه الفرقة الناجية المحقة الصادقة في أدوارها الوحودية في حالتي الكتمان والظهور مرعية بعين عناية الله تعالى لايقدر عليهم أحد بسوء ظاهري الكرامات أعداء المناكر والجرائم أشداء على الظلم والظالمين والنفاق والمنافقين وأما الحجة على من أنكر علينا البراءة من عثمان وعلي ومعاوية وأشباههم فقد جاءت واضحة دامغة في مناظرة الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه للخوارج . قال ضمام كان جابر يأتي الخوارج فيقول لهم أليس قد حرم الله دماء المسلمين بدين ؟ فيقولون نعم . فيقول لهم أليس قد حرم البراءة منهم بدين ؟ فيقولون بلى . فيقول أوليس حرم ولا يتهم بدين بعد الأمر بها بدين ؟ فيقولون نعم . فيقول هل أحل بعد هذا بدين ؟ فيسكتون

ويخنسون ويعجزون !!

وهذه حجتنا على الجاهلين بحديث الافتراق استنبطها الفقير الضعيف قليل البضاعة واضع هذه الرسالة أحوج الخلق إلى عفو ربه قاسم ابن سعيد الشماخي .

ذهب الجاهلون بحديث الافتراق الذين اعتقدوا أن الدين إنما هو المذاهب الأربعة أبو حنيفة . ومالك . والشافعي . وأحمد بن حنبل حين سمعوا بفرقة الإباضية . فقالوا هؤلاء خوامس وطعنوا فينا بهذا العدد وجعلوا تسمية الخوامس عنوان تشويه ومقت . كما زعموا . فنقول لهم لو اعتبرتمونا أول الأعداء من المذاهب خمسة لصدقتم في اعتباركم هذا على غير علم بصدقكم . لأن إمامنا جابر بن زيد رضي الله عنه التابعي كان أسبق في الوجود بسنين من أبي حنيفة كما ذكرنا في صدر الرسالة وإن اعتبرتمونا خامس الأعداد تحقيراً واستخفافاً برأينا واختيارنا حيث تجاوزنا أئمتكم الأربعة فنقول لكم لقد أعظمتم لنا الشرف وصحة الاختيار لأن قواعد الإسلام خمس فحين تطلعوا على معتقداتنا وما ندين به ربنا تجدونا نحن المشيدين لاحترام صرح تلك القواعد الخمس . المحافظين على أصولها وفروعها بالقول والفعل والإخلاص والورع والاجتماع على مواقع اليمن والبركة . فعندها تبهتون كما بهت الذي كفروا والحمد لله رب العالمين .

وأما عبارة أحمد علي الشاذلي الأزهري الذي دوشه دوي النواقيس وصلصلة الأجراس في حارة النصارى فأساءت إلى أرض قلبه فأخبثتها لاستقائها من ماء استراق طبع الكفر بتعاهد الاختلاط .

فيما جاءت مستقلة بالطعن على صاحب مجلة المنار العالم النبيه الذي جازت عليه الشهادة بالخير واستاذ علم العلماء . وخيرة الفضلاء . حسنة

زمانه ونادرة آوانه . المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً تغمده الله بالعفو والإحسان .

قال وهو الكاذب الحقود الحاسد الممقوت سخط الله عليه وعلى أمثاله الذين خلقوا للشر وأجرى الله على أيديهم الشر : ومن قارن بين مجلة الإسلام وهي السارية نحو الثمانية سنين معتدلة لا تنقل إلا ما يراه الأئمة الأربعة وما يروح النفوس من أخبار الصالحين مما يناسب الموحدين لم يعهد عليها ما تنقم عليه . ومجلة المنار الحديثة العهد التي هي صنيعة قوم أنشدوها ليبثوا فيها خبايا معتقداتهم المغايرة لما اتفقت عليه الأمة الإسلامية متبرجة بالطعن على من أجمع الإسلام وبنوه على تحتم أتباعهم وهم الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم وبهم أنسد باب الاجتهاد لعدم توفر شروطه في أحد بعدهم وقد تكفل ببيان ذلك أرباب الكتب في معتبرات المصنفات التي خفيت مداركها على كثير من قصارى العقول وما علينا إذا لم تفهم البقر : ثم قال الذي خسر في خاتمة هذا الكلام : علم الفرق بين المجلتين وأن بونا بعيداً بين خطتنا وخطته وليس منطبقاً عليهم وعلى مذيع عقائدهم والله جل اسمه وعظمت قدرته إن شاء أرجعهم إلى الحق وإن شاء أخذهم وهو العزيز المقتدر : أهـ .

قلنا له يا جاهل مَن من أهل البصائر أو غيرهم من باقي الطبقات الذين يعرفونك بالذات أو تعرفوا إليك بلفظك في المجلة الساقطة يقارن بين مجلتك السارية بركيك القول واللغط وساقط الكلام . وبين مجلة المنار التي وقر الله مشتملاتها في صدور القارئين والمستمعين والمشتركين كما أنها ليست صنيعة قوم أشرار كما تزعم بل صنيعة أخيار فضلاء أكابر علماء أرادوا بك

وبأمثالك خيراً فيما انتحلوه لك من ثمين القول الذي يخرجك من التحيز للأفراق التي قضى عليها رسول الله ﷺ بالنار وقد تدعو إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ واستلفات الناس إلى الاجتهاد في معاني كتاب الله عز وجل والتمسك بالآيات المحكمات والفرار من المتشابهات التي وقع فيها أمثالك يا جاهل . فهذه دعوى لاتقبل الطعن والانتقام عليها : وقد دعوت علي صاحب المجلة وأشياعه وافتخرت بمجلتك وأشياعك فاسقط الله مجلتك ومحاها من الوجود وأدبر عنك القلوب وصرت أمقت خلق الله في نظر الملائكة والناس أجمعين وظهرت مجلة المنار بأجلى مظاهر الصدق والإخلاص في دين الله ومصلحة المسلمين . فأين الذين يفرزون بين خطتك وبين خطة المنار فيبينون لك البون البعيد الذي لهجت به تطيراً وعجباً فإذا وجدت من يفرز حتى من الجهلة لقالوا لك أنت جاهل منافق ظالم ثرثار . والبون بعيد بينك وبين صاحب المنار : تلك من سقط اللغو قد هوت في الحضيض لأنك لم تعمل بما تقول ولم تؤمن بالشريعة إلا لفظاً . وهذه قد رفعها الله تعالى إلى مدارج القبول فتعلو على صهوة الظهور بمتين مشتملاتها وصدق عزيمة محررها على العمل والخشية وهذا ما تسمعه من الناس قولاً وكتابة وتتجلى آثار صحته لك ولأمثالك على الأيام إن شاء الله تعالى .

وقال الذي خسر في موضع آخر : فاتنا أن نذكر لك وهو بيت القصيد والمقصود من جل هذا الحديث أن بعض ذوي الشؤون من المحدثين في أمر الأزهر حسن لتلك الشياحة وهو أول الدسائس ومبدأ هبوط شامخ الجامع وإفساد منابع العلم على أهله (يعني بذلك المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده) أن تدخل العلوم الحديثة بالأزهر فتقرأ فيه رسمياً إلى أن قال فإذا دام هذا الحال لاشرع ولا أزهر ولا علماء ويحال الجامع إدارة على نظارة

المعارف فإذا احتاجت الحكومة إلى قضاة شرعيين فمن أين نجيء بهم ؟ فكر القوم أعداء العلم الشرعي في هذا فقال كبيرهم (ويقصد بكبيرهم الشيخ المفتي رحمه الله) تنشأ مدرسة خاصة لتخريج القضاة الشرعيين فيها وهذا يؤكد لك أيها الأخ البعيد عنا مقاصد أعدائنا بمنبع شرعنا وذلك كله فيما يزعمون كما يتقولون خدمة لمن يرى الجامع الأزهر حجر عثرة في طريق يريدون قطعه لنهاية يرمون إليها فإن عدده فوق الثلاثة عشر ألفاً وعلماءه يقولون في أنفسهم بما يستميل الأعداء ويسمع النداء فتهيب منهم الأجنبي فليست هذه الدسيسة لتكون لهم مساعدة في نوال الغرض وحلول المرض وما رأوا غير من يستميلونه من الفقر بالمال ومن الضعة إلى الرفعة الكاذبة :

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ (1)

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾

ويحك يا شيخ الضلال : إن الشيخ محمد عبده كان عالماً قدوة لايجدر بأمثالك أن يعيبوا عليه شيئاً من اقتراحاته وإرشادته لأنك وأمثالك لن تبلغوا بأفكاركم وعقولكم وأبحاثكم مبلغ مراميه لأنكم ثمالة وهو البحر الزاخر وقد أعلن أن الزمان سائب وأهله أنعام وأنت منهم يا شيخ عبره لأن الناس ضيعوا الحقوق وانغمسوا في لجة العقوق فأراد أن يثمر الله به منهجه النير وجادته الواضحة فلم يرد لله أن يهدي المصريين فيجعل لهم حظاً في عقولهم يستجيبون دعاءه فمات إلى رحمة ربه وقد فكت رقبته من كل

---

(1) سورة القيامة ص ٣١ ــ ٣٧ .

مسؤولية وقد تجلت لك يا شيخ الضلال آثار فضله على لسان الأعداء والذين قلتم إنه دسيستهم وحليفهم وهذه الجرائد الإفرنجية والعربية ناطقة بصدق نزعة الرجل وبعد مراميه في العدل والإنصاف .

علم الرياضيات والهندسة علمان قديمان ضروريان بعد علم الشريعة فعلم هو رحمه الله بما جهلته أنت ومن كان على شاكلتك من أهمية ذلك . فعلم الرياضيات هو الحساب والحساب عدد تكييف الأزمنة والهندسة وتكييف الأمكنة والدنيا والآخرة هما الأزمنة والأمكنة والهندسة هي معرفة المقادير والأبعاد فلن يستقيم لخلق وجود إلا بهما وفيهما فارتبط العدد بالأزمنة وارتبطت الهندسة بالأمكنة قال الله عز وجل :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾(1)

فثبت أن كل ما أشار به المرحوم الشيخ محمد عبده فهو حق عند الله مفيد للطالب مع علم الشريعة وفي الأزهر على الأخص لارتباط العلمين المذكورين بعلوم الشريعة ارتباطاً ضرورياً يعلمه الذين آنسوا فضل الله ومواهب الله في أنفسهم وهي خاصة بأمثال الشيخ الإمام رحمه الله .

فيكفيك ما أنت فيه من الهم يا شيخ الضلال . أنت في بوار وخسران ولحقنا أذاك وخبثك في طبع العدد العاشر من جريدتنا نبراس

---

(1) سورة الإسراء آية ١٢ .

أما العلوم والفنون الرياضية والهندسية فليست حديثة كما ذكرت لأن المشارقة والمغاربة وحقت عليك كلمة العذاب ما التزمت الإصرار . فأنت في عذاب إلى أبد الآبدين حياً كنت أو ميتاً والحمد للهرب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .

بحمد الله تمت الرسالة مساء يوم الثلاثاء ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ألف وثلاثمئة وثلاثة وعشرين من الهجرة النبوية صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وأصحابه الكرام والتابعين وصالح المؤمنين .

* * * * *

* * *

الفهرس